المنادمة، صورة من صور حضارتنا العربية الاسلامية المشرقة.

د. صادق أحمد داود جودة
قسم العلوم الاجتماعية/ جامعة عمان (الأهلية)
١٩٩٢م - ١٤١٢ هـ

ملخص البحث

يعالج هذا البحث فيما يعالجه، مفهوم مصطلح «النديم» في الحضارة العربية الاسلامية. وقد أسهبت معاجم اللغة في تبيان المعنى اللغوي المصطلح عليه للنديم، واظهرت انه ذلك الشخص الذي يشارك غيره في مجلس الأنس والشراب. ولكن البحث الدقيق أثبت بما لا يدع مجالا للشك ان مصطلح «النديم» يحمل معنى أوسع مما حملته أطواء معاجم اللغة. واصبح مفهوم المصطلح يعني فيما يعنيه المستشار، والأخ، والصاحب، بل هو اكثر من هذا وأعم.

وقد أصبحت عادة اتخاذ النديم شائعة وعامة بين أفراد المجتمع، وليست حكراً على فئة من فئاته، فهناك ندماء الملوك وهناك ندماء العامة من الناس.

وكانت علاقة النديم بمنادمه علاقة أخوية تقوم على أسس متينة من المحبة والتقدير والاحترام. فالنديم يطلع على خبايا نفس منادمه ويطارحه أفكاره الخاصة، ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره بلا حرج. وكثيراً ما وقف المنادم من نديمه موقف الأخ من أخيه، وأغضب أعز الناس وأقربهم منه في سبيل ارضاء نديمه. وبالمقابل كان النديم على استعداد لأن يموت في سبيل ارضاء من ينادم. وما ذاك الاّ لأن المرء يقرن بمن يخالل.

وعلى العموم، أصبح للمنادمة مع مرور الزمن، رسومها الواضحة في المجتمع وأصبح للنديم شروط يجب ان تتوافر فيه، وتحددت أطر عمله امام من ينادمه.

Summary

This paper addresses the concept of al-nadeem (The companion) in Arabic and Islamic civilization. Dictionaries

have profusely painted out the unanimously approval lexical meaning of the term as referring to a drinking companion. But scrupulous research has proved beyond doubt that the term has a much wider sense than that conveyed by dictionaries. Among other connotations, the term "Alnadeem" means consultant and brother.

Having a "nadeem" (Companion) has become a common custom not only among kings, caliphs, princes and leaders but also among layout men.

The relationship between the two companions is primarily based on strong affection and mutual respect. They disclose to each other their inner feelings and thoughts which they hide from others. Very often, they show brotherly and manly attitudes towards each other. One is ready to sacrifice his life for the other.

Generally, "al-munadama" companionship has over the years acquired special and plain characteristics Accordingly, al nadeem should meet certain requirements which determine his obligation towards his companion.

المقدمة

فرضت الأوضاع الجديدة التي طرأت على المجتمع العربي بعد الفتوح الاسلامية، معطيات من نوع جديد، واحتك العرب المسلمون بشعوب البلاد المفتوحة وأخذوا يقتبسون بعض ما عندها من عادات مما يتفق وقيمهم وأخلاقهم ومفهوم دينهم الجديد. وأقاموا بعد ذلك نهضة علمية شاملة تجلت آثارها بنضوج الحضارة في الدولة العباسية.

واقتضت ظروف الحضارة ان ينغمس العرب المسلمون، بعد ان أخلدوا الى الراحة والسكينة، بعد حركة الفتوح أيام بني أمية، في تيار الترف الجارف، الذي أوجده نضوج الحضارة. وأخذوا يتشبثون بأسباب الترف والرخاء وما جلبه من أسباب الطرب والغناء وغيرها.

ومن العادات التي ترسخت في نفوس أفراد المجتمع الاسلامي حكاماً ومحكومين، عادة اتخاذ النديم، وكان للفرس الأثر الأكبر في هذا الميدان.

ان الأصل في المنادمة ان يلتجيء الشخص الى شخص آخر يرى فيه صفات يرتاح اليها فيطارحه آلامه وهواجس نفسه، وينطلق معه على سجيته فيرى منه ما لا يراه غيره، وكل هذا بلا حرج ولا تكلف.

ومن هنا فقد أصبح النديم صورة حية من منادمه، مطلعاً على مجمل أسراره الشخصية، أميناً على كل تصرفاته التي لم يطلع عليها سواه. وبمرور الزمن أصبحت المنادمة فناً رفيعاً، وأصبح للنديم صفات وآداب يسير عليها، وانتظم مجلس المنادمة، وانتشرت عادة اتخاذ النديم بين طبقات المجتمع. والف بعضهم في هذه الفنون مؤلفات لا تزال الى اليوم ضمن كتب التراث الأدبية رفيعة المستوى.

ومن هنا نرى ان للنديم أهمية كبيرة في حياة المجتمع، تحتاج الى القاء الضوء عليها وإبرازها. وهذا ما قصدته عندما اخترت بحثي «المنادمة، صورة من صور حضارتنا العربية الاسلامية المشرقة».

وقد جرت العادة على ان يكون الشراب أحياناً مصاحباً لمجلس المنادمة، وقد أفاضت كتب التراث كثيراً في ذكر هذه القضية[1]، وذكرت أنواع الشراب الكثيرة، المسكرة وغير المسكرة، وماكان يحصل في مجالس المنادمة من تجاوزات[2]. وقد ذكرت تلك الكتب أنواع النبيذ وكيفية صناعته[3] من أنواع الفواكه كالعنب والتمر والتفاح والمشمش، والحبوب كالذرة. وكان العسل يضاف اليه بعد ذلك[4].

وقد استفدت في بحثي هذا مما كتبه كشاجم في مؤلفه الموسوم بـ«أدب النديم»، فقد جاء سجلاً وافياً لا غنى عنه في هذا الميدان لمن يريد الاطلاع على فن المنادمة ورسومها. وكذلك استفدت مما كتبه ابراهيم النديم في مؤلفه الموسوم بـ«قطب السرور»، وهو مؤلف يفيد كثيراً في مثل هذه المواضيع والأبحاث. وقد استفدت منه طرفاً فيما يخص تناول الشراب في مجلس المنادمة. واستفدت كثيراً مما كتبه الطوسي عن النديم في مؤلفه القيّم المعروف بـ«سياست نامه»، حيث تناول ضرورة اتخاذ النديم للملوك والخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء، والقادة. وذكر أنهم بحاجة الى النديم للترويح عن النفس من عناء الحكم ومشاكله، ومطارحة النديم بكل ما يشغل البال من أمور. ومن هنا فالنديم مستشار ومؤتمن وصورة حية لمن ينادمه.

واستفدت كذلك مما جاء في «كتاب الأغاني» للاصفهاني بعض الأخبار التي تهم البحث، الاّ أني لم اعتمد عليه كثيراً لأنه يعتني بذكر الحوادث الخاصة بالشرب أكثر من غيرها.

---

(١) الثعالبي: خاص الخاص، تقديم حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م، ص: ٥١ .

(٢) النديم: قطب السرور في أوصاف الخمور، تحقيق أحمد الجندي، طبعة عام ١٩٦٩م، ص: ١٧، ٣٨٨ .
المرزباني: الموشح، تحقيق محمد البجاوي، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ٣٢٤ .
الأصفهاني: الأغاني، طبعة مؤسسة جمال، بيروت، لبنان ١٩/٢٢٩ .

(٣) الاصفهاني: الأغاني، المصدر السابق ٤/٣٩٣ .

(٤) الجاحظ: كتاب البخلاء، تحقيق فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، ص: ٦١ .

واستفدت بعض الشيء مما كتبه الجاحظ في مؤلفاته، وبخاصة كتابه «التاج» ففيه أخبار تهم البحث وتسهم في بنيانه بصورة أفضل.

واستفدت كثيراً من الأخبار التي ذكرها المسعودي فيما يختص بالنديم وأدبه، ورسوم مجلس المنادمة فيما يختص بالخلفاء وكبار الأمراء والقادة، مما لا غنى عنه في مثل هذا البحث في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر».

واستفدت كذلك من كثير من كتب التاريخ والأدب مما هو واضح في الهوامش المرافقة للبحث.

وقد سرت في بحثي هذا على أساس تقسيمه الى مواضيع جانبية كالتالي:

معنى المنادمة والنديم، ضرورة النديم، صفات النديم، آداب مجلس المنادمة ورسومه، واجب الرئيس نحو ندمائه، آداب النديم وقت اللعب، لباس المنادمة، هيئة النديم، مراتب الندماء، منزلة النديم، تعقيب، خاتمة.

هذا وقد كنت أثناء البحث استمتع بمراجعة المصادر والمراجع المتوافرة أثناء تقصي أخبار الندماء هنا وهناك، ولم أجد صعوبة في الحصول عليها.

وأقدم الشكر لكل من أسهم في هذا الجهد بصورة أو بأخرى، مما أعانني على اخراجه على هذه الصورة، وأنا لا أدعي الكمال فيما أقدم، ولكن أقدم جهدي المتواضع، الذي آمل أن يقدم خدمة علمية في مجاله، وأظنه قد فعل. وأدعو الله مخلصاً أن يعيننا وزملاءنا على تقديم كل نافع مفيد، والله من وراء القصد، نعم المولى، ونعم النصير.

معنى المنادمة والنديم:

ان من يتصفح المعاجم اللغوية يجد أن كلمة النديم مشتقة من الفعل ندم، وان النديم والنديمة: المنادم. وان الجمع ندماء وندام وندامى جمع ندمان، وقد يكون الندمان جمعاً. ونادمه منادمة ونداماً، جالسه على الشراب. وان النَّدْم تعنى الكيّس الظريف، وبالتحريك

الأثر. وخذ ما انتدم، أي ما تيسر وتندّم، أسف فهو نادم وندمان[1].

ونلاحظ هنا أن المفهوم العام للنديم، هو ذلك الرجل الكيّس الظريف الذي يجالس غيره على الشراب. وهذا المعنى هو المعنى المستفاد مما ورد في معاجم اللغة. ولكن هل هذا المعنى هو نفسه المفهوم من لفظ النديم الوارد في الحضارة العربية الاسلامية فقط، يا ترى؟

ان مفهوم النديم في الحضارة العربية الاسلامية اتسع لأكثر من هذا المعنى، فهو يعني ذلك الرجل الذي يجلس مع غيره من ذوي المراكز العالية، ومع غيرهم من النظراء، ويكسب ثقتهم بحيث يصبح موضع احترام عندهم، وملاذاً لأسرارهم ومتنفساً لهم يفضون إليه بما يختلج في صدورهم، ويأمنونه على عظائم الأمور بلا تردد ولا حرج.

ان من ينعم النظر في هذا الأمر يجد أن الانسان بحاجة الى من يفضي إليه بأسراره، ويطارحه قضاياه ويناقشه فيها بلا حرج ولا مضايقة ويمنحه ثقته التامة، ويعده ضرورة من ضرورات الحياة المتزنة.

ومن هنا نقول ان المنادمة تعددت ألوانها وصورها في المجتمع الاسلامي، وانتشرت بين الناس على اختلاف مشاربهم ورتبهم وأوضاعهم ومراكزهم القيادية. وأصبحت تكاد تكون عامة بين الجميع كل على شاكلته.

وما دامت المنادمة منتشرة بين فئات المجتمع، فهي بأرباب القيادة العليا والمراكز السياسية

---

(١) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط/٢، بيروت، ١٤٠٧/١٩٨٧م، ص: ١٤٩٩ - ١٥٠٠ .
ابن منظور: لسان العرب (مادة ندم). الزبيدي: تاج العروس (مادة ندم).
ابن عبدربه: العقد الفريد حـ/٦، تصحيح وترتيب أحمد أمين، عبدالسلام هارون، القاهرة، مصر ١٣٦٨/ ١٩٤٩م، ٦/٣٧٧ .
النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية في ١٨ جزء، القاهرة، مصر، ١٩٥٤م، ٤/٨٣ .
الرازي: مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: ٦٥٢ . وذكر أن المنادمة مقلوبة من المدامنة لأن الشخص يدمن الشراب مع نديمه.
الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٥/١٩٦٥م، ص: ٦٢٦ مادة «ندم».
كشاجم: أدب النديم، تحقيق نبيل العطية، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٠م، ص: ٢٥، وذكر أن النديم سمي نديماً لأنه يُندم على فراقه.
النديم: قطب السرور في أوصاف الخمور، مصدر سابق، ص: ٢٨٥ .
الحاني: في الحضارة العربية الاسلامية، صور عباسية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ص: ١٢ .

والادارية أولى. وذكر نظام الملك[1] الوزير السلجوقي المعروف، أنه لا بد للملك من اتخاذ الندماء الاكفاء من الأشخاص الذين ينطلق معهم على سجيته دون تكلف، ولا يجد في نفسه حرجاً في عرض أية قضية يريدها عليهم. وهذا المعنى هو ما قصدناه هنا. ويتضح مما قاله الوزير السلجوقي أن دور نديم الملوك دور خطير، ومن الممكن أن يسهم بما يقدمه من آراء في سياسة الدولة وادارتها أحياناً.

ولا شك في ان لنديم الملوك رسوماً في مجلس المنادمة تتبع بدقة الى حد كبير، نظراً لما للملوك والخلفاء من مراكز يحرص الكل على ان تبقى مهابة. أما ندماء النظراء والعامة فكانت مجالسهم أقل مستوى في رسومها وما يتبع فيها من مجالس الملوك والخلفاء. ونحن في بحثنا هذا سنلقي الضوء على تلك الرسوم وماكان يمارس في مجلس الندماء، ونركز على مجالس علية القوم أكثر من تركيزنا على مجالس ندماء النظراء.

ضرورة النديم:

إن الحاجة تدفع بالملوك والخلفاء وغيرهم الى اتخاذ الندماء ومجالستهم بلا حرج. ويعود السبب في هذا إلى أن الملوك بحاجة الى أشخاص يفضون اليهم بما في نفوسهم بلا حرج، بل يطارحونهم القول ويتبسطون معهم. وهذا الأمر لا يمكن للملك أو الخليفة أو السلطان ان يشارك فيه الكبراء وحكام الأطراف وقادة الجيش والولاة وغيرهم، لأن الانبساط مع هؤلاء وأضرابهم يؤثر في هيبة الحاكم وعظمته، بل يقلّلُ مركز الحاكم في نظر موظفيه وتزيد جرأتهم عليه، وتهون شخصيته في أنفسهم[2].

ان هذا يعني أن المصلحة تقتضي أن لا ينادم الملوك والسلاطين والخلفاء الذين يتولون لهم أمراً من أمور الدولة. كما ينبغي على هؤلاء السلاطين ان لا يسندوا أمراً من أمور الدولة الرسمية لندمائهم، خوفاً من أن يلجأ هؤلاء الندماء بما لهم من حظوة لدى السلاطين الى ايذاء الرعية والاعتداء على أموال الشعب وايدائه وإرهاقه بشتى الطرق والسبل.

كما أنه ينبغي على أرباب الوظائف الحكومية ان يهابوا السلطان في كل الظروف والأحوال، خوفاً من تجرئهم على الشعب وانزال الظلم بين صفوفه، في حين أن هذا لا ينطبق على النديم الذي يجب أن يتمتع بالجرأة والشجاعة مع من ينادم من الملوك والسلاطين. وإذا لم يتوافر هذا فيه

(١) نظام الملك الطوسي: سياست نامه، ط/٢، ترجمة يوسف بكار، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٤٠٧/١٩٨٧م، ص: ١٢٦ .

(٢) نظام الملك الطوسي: سياست نامه، مصدر سابق، ص: ١٢٦ .

فلا يرغب الملوك والسلاطين في منادمته ولا يهشون له، لأن رغبتهم تكمن في الانبساط والترويح عن النفس بعد الانهاك والتعب من ادارة شؤون الدولة ومصالحها[1].

وذكرت لنا المصادر ان للنديم فوائد شتى، فهو مطلوب لإيناس قلوب الملوك والسلاطين وذوي الأمر، بما يتطارحونه من أمور بعد أن يثقوا به ويأنسوا اليه. ثم إن من أهم دواعي وجود النديم ان يكون الحامي للملوك والسلاطين، لاسيما وانه يلازمهم ليل نهار، فواجبه يحتم ان يحافظ على أرواح من ينادمهم بكل حزم وعزم، ويكون على استعداد للتضحية بنفسه دفاعاً عن حياة من ينادمونه. ولعل ما فعله الفتح بن خاقان مع المتوكل العباسي، المتوفي ٢٤٧/ ٨٦١م لخير دليل على ما نقوله، فقد عرّض الفتح حياته للخطر والموت دفاعاً عن المتوكل العباسي.

ثم ان الملوك والسلاطين لا يرون حرجاً في ان يناقشوا ندماءهم في شتى الأمور، من جدٍ وهزل بلا تردد، لأنهم أصبحوا عندهم ثقة فلا يخشون افشاء أسرارهم، في حين لا يجرؤ الملوك والسلاطين على اتباع هذا النهج مع كبار رجال الدولة وموظفيها، خوفاً من ذهاب هيبتهم.

ولا شك في أن الندماء يختارون ممن تتوافر فيهم صفات خاصة يراها الملك والسلطان مناسبة لحالهم، وهم ممن يتوافر لديهم القدرة على التأثير في سامعيهم، ويتمتعون بشيء لا بأس به من القدرة على العطاء والاسهام في اجلاء الحقيقة. فمن هنا يمكننا القول بأن الملوك والسلاطين، قد حرصوا على ان يفيدوا مما يأخذونه عن ندمائهم ويوظفونه للصالح العام، لذا حرص الملوك والسلاطين على اختيار ندمائهم بدقة، لأن المرء يُوزن بوزن من يصاحب ويجالس[2].

صفات النديم:

ونظراً لخطورة النديم، ولأنه يجتمع مع الملوك والسلاطين وقتاً طويلاً في اللهو والجد، ويطارحهم في مسائل قد تكون ذات تأثير كبير على مقدرات الشعوب، كان لا بد من توافر جملة من الصفات فيمن يختارون ندماء للملوك والسلاطين، وقيل:

«ليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الأخلاق وأفاضل

---

(١) الجاحظ: مختارات من كتاب الحيوان، اختيار نعيم الحمصي، السفر الثاني رقم «١٢» منشورات وزارة الثقافة والارشاد، سوريا، ١٩٧٩م ص: ١٩٢ .

(٢) كشاجم: أدب النديم: مصدر سابق، ص: ٢٥ .
ابن أبي حجلة: ديوان الصبابة، دار حمد ومحيو، بيروت، لبنان. ص: ٤٩ .
نظام الملك الطوسي: المصدر السابق، ص: ١٢٧ .

الأداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم. حتى إنه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة، فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد، ومع عفاف النساك مجون الفتّاك، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث. وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر إليها في حالٍ لا يحسن ان يخل بها فيها، ووقت لا يسعه العدول عنها، وإلى أن يجمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي ينادمه، على حسب ما يبلوه من أخلاقه، ويعلم من معاني لحظه واشارته، ما يغنيه عن تكلف عبارته والافصاح به، فيسبقه الى شهوته ويبدره إلى اراد ته، كما قال بعضهم:

«ونديم حلو الحديث يجاريك بما تشتهيه في ميدانك.

ألمعي كأنّ قلبك في أضلاعه أو كلامه بلسانك[1]»

وانتقل بعد هذا الايجاز الى شيء من التفصيل فيما يختص بصفات النديم، وأخلاقه. ولعل من أهم هذه الصفات ان يجمع النديم الى الصبر على مضض الجوع، احتمال الامتلاء والازدياد على الشبع. وذلك لأن وضعه يحتم عليه ان يكون بهذه الصفة، فهو إما أن يكون نديماً لسخي يجب أن يؤكل طعامه، فيطالبه بالاكثار من الطعام ومساعدته عليه ومجاراته فيه، فهو ان استجاب لدعوة من ينادمه نال الحظوة والقبول عنده، والاّ فإنه سينال التنغيص والبعد، وإما أن يكون نديماً للئيم، طعامه عنده بمنزلة سمعه وبصره، فإن أسرع الأكل من أطايبه فكأنما يأكل من جوارحه، فعليه في هذه الحالة ان يجاهد نفسه بالامتناع عنه ان أراد القبول عنده[2].

وهذا يعني ان على النديم ان يراعي الحالين، ويساير الأوضاع حتى يلق القبول والاحترام ممن ينادم، وحتى لا يستقبح شيء من هذا عنده.

وأما العبث والمزاح فله من المنادم وقع لطيف في النفس، بل ومحل خصيص إذا تبين النديم من المنادم نشاطاً لذلك. وكان العبث والمزاح يمارسان في مجالس الخلفاء من بني العباس في العصر الأول، كما حصل أيام المأمون مع العتابي واسحق بن ابراهيم الموصلي النديم[3].

وعلى النديم أن يكون عالماً بما يتنافس فيه الملوك ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجواهر النفيسة والآلات المحكمة، وأنواع الطيب، والفرس والخيل والسلاح وما اليها. وكم يصغر

(١) كشاجم: أدب النديم، مصدر سابق، ص:٣٥ .
(٢) المصدر السابق، ص:٣٦ .
(٣) المصدر السابق، ص:٣٨ - ٣٩ .
نظام الملك الطوسي: سياست نامه، مصدر سابق، ص:١٢٦ .
ابراهيم النديم: قطب السرور، ص:٢٩٤ .

النديم في عين مليكه إذا عرض على المليك شيء من هذه الأشياء، واعتمد على النديم في تقدير قيمتها فلم يستطع الاجابة[1].

وان معرفة النديم لألوان الطبيخ الغريبة وللأصوات البديعة والشعر الشجي، واللحن من الغناء معرفة جيدة لدليل على كمال شخصيته وظرفه[2]. وقيل:

«ورأيت المُلاّح من أهل هذه الطبقة يقولون: إن من لم يشد عشرة أصوات ويحكم من غرائب الطبيخ عشرة ألوان لم يكن عندهم طريفاً كاملاً ولا نديماً جامعاً»[3].

وينبغي أن يتصف النديم بأن يكون له جمال ومروءه، ويتجلى الجمال في نظافة الثوب، وطيب الرائحة، وفصاحة اللسان، بينما تتجلى المروءة في كثرة الحياء مع الانبساط، والوقار مع طلاقة الوجه بلا سخف ودناءة. ولا تكمل المروءة الا بالسلو عن اللذة، وترك اللذة باختصار هو المروءة[4].

وذكر نظام الملك الطوسي ان على النديم ان يكون «كريم المعدن فاضلاً، وسيماً، نقي المذهب، حافظاً للسر، نظيف الملبس، عارفاً بكثرة للأسفار والقصص والنوادر هزليها وجديها، حسن الرواية، يعرف لكل مقام مقاله، مجيداً للعب النرد والشطرنج، وحبذا لو أنه يجيد الغناء والضرب على الآلات الموسيقية»[5].

وواصل نظام الملك الطوسي كلامه ذاكراً صفات النديم التي ينبغي ان تتوافر فيه حتى يحوز على رضى من ينادم، فقال: «وينبغي ان يكون موافقاً للملوك دائماً يردد: بخ وأحسنت» ما ان ينطق الملك شيئاً أو يفعله، والاّ ينصب من نفسه معلماً يقول: «افعل هذا» و«لاَ تفعل ذاك» و«لماذا فعلت ذلك؟» و«يجب ألا تفعل هذا» فهذه أمور يصعب على الملوك قبولها وتحملها وهي تجر الى الكراهية»[6].

---

(١) كشاجم: أدب النديم، مصدر سابق، ص:٤٠ .
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه. نظام الملك الطوسي: سياست نامه، مصدر سابق، ص:١٢٦ .
(٤) كشاجم: المصدر السابق، ص:٤١ .
(٥) سياسة نامه، مصدر سابق، ص:١٢٦/١٢٧ .
(٦) المصدر السابق نفسه.

وعلى النديم ان يحسن معاشرة من ينادم من الملوك في ميادين التنزه ومجالس الانس والشراب والصيد واللعب بالطبطابة، والميسر وغيرها[1]. فهذه الامور لا يحسن بالملك بحثها مع وزرائه وقادته، بل مع ندمائه. واما غيرها من عظائم الامور فتبحث مع كبار القادة والموظفين.

ومن المستحسن ان يكون النديم من ذوي التجارب والأسفار وممن خدموا الأكابر أي ان يكون النديم ذا خبرة، يتمتع بشخصية قادرة على المشاركة والاسهام بما يعرض في مجلسه من امور عظام أو صغار. ويجب ان يفهم ان الملوك يُقيَّمون من خلال من يجالسون من الندماء[2]. فالنديم صورة لمليكه ومنادمه، لذا حرص الخلفاء كثيراً على منادمة شخصيات ذات سويات مقبولة. وهذا يبرهن لنا ان النديم لا يعني فقط نديم الشراب، بل هو اكبر من هذا وأهم.

وقد اسهبت المصادر في ذكر صفات النديم، وكلها في مجملها لا تخرج كثيرا عما قلناه في هذا الصدد، بل تحوم حوله بشكل او بآخر، ولا نرى بأساً في التعريج على هذه الأقوال مختصرة. فقد ذكر نظام الملك الطوسي ان بعض الخلفاء والسلاطين قد نادموا الطبيب والمنجم لما لهما من خبرة في حفظ الصحة والأوقات وما يتخللها من أيام الطقس. في حين لم يفضل بعضهم الآخر منادمة هذين لما لهما من صفة التحكم والأمر. وعلى العموم فكلما كان النديم محنكا، عرك الدهر، وخدم الأكابر كان أفضل.

وانسجاماً مع هذا فان المأمون العباسي حينما قدم بغداد من خراسان، أمر بأن تعرض عليه اسماء من يصلحون للمنادمة من أهل الأدب. وفضل ان يكونوا من العلماء والقادة، وممن عرك الحياة وجالس الخلفاء والأمراء[4].

وذكر الجاحظ في هذا الصدد أيضا، أنه ينبغي على نديم الملك ان يكون، «معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاط، سليم الجوارح والأخلاق، لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة

(١) نظام الملك الطوسي: سياست نامة، مصدر سابق، ص ١٢٧ .
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمد عبدالهادي ابو ريدة، مكتبة الخانجي، دار الكتاب العربي، ط/٤، بيروت، ١٣٨٧/١٩٦٧م. ١/٢٧٣ .

والبلغم يقهره ويكثر بوله وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه. ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر أمانيّه وتفسد مزاجه. فأما الدموي فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذا كان بالبدن اليه حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته»[1].

هذا وقد ورد عند غير الجاحظ من هذا الصفات كثير. قال سهل بن هارون[2]: «ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك: يتصرف بشهواته، ويتقلب بارادته إذا جدّ جد وإذا هزل هزل، لا يمل المباشرة ولا يسأم المسامرة. إذا انتشى تحفظ وإذا صحا تيقظ، يكون كاتماً لسره، ناشراً لبره، ويكون للملك دون العبد، لأن العبد يخدم نائباً والنديم يخدم دائباً».

ولا ينسى ابراهيم النديم[3] أن يدلي بدلوه هنا فيقول: «ومما يزيد النديم تقدماً لدى منادمه، ان يكون عالماً. وقيل لاعرابي، كم تشرب من النبيذ؟ قال: على قدر النديم». وقد لخص النديم شروط النديم بقوله[4]: «قلة الخلاف والمعاملة بالانصاف، وترك الجواب والمسامحة في الشراب، واسقاط التحيات، واجتناب اقتراح الأصوات وادمان الرضى واطراح ما مضى، واحضار ما تيسر، وأكل ما حضر، وستر العيب وحفظ الغيب».

ومن شروط المسامر والنديم ان يكون خفيف الاشارة، لطيف العبارة، طريفاً رشيقاً لبقاً ورفيعاً غير مذم ولا ثقيل ولا عنيف ولا جهول، قد لبس لكل حال لباسها وركب لكل آلة أفراسها.

وعلى النديم[5] أن يحذر التبسيط والتمديد والتمطي والتثاؤب والتخنع والبصاق وتفريك اليدين، وفرقعة الأصابع، واللعب بالخاتم، والعبث باللحية والعمامة. كما عليه ان لا يكون لجوجاً ولا حسوداً ولا مماريا ولا طامح عين، ولا طايش اللب، ووجب ان يكون جمولاً موافقا لك في

(١) التاج، دار الفكر، دار البحار، بيروت، لبنان، ١٣٧٥/١٩٥٥هـ، ص: ١٣٤ .
(٢) التوحيدي (أبو حيان): البصائر والذخائر، تحقيق ابراهيم الكيلاني، ١٥١/٤ .
النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، مصدر سابق ٢٢٥/٤ .
الحاني (ناصر): في الحضارة العربية، مرجع سابق، ص: ١٤ .
الجاحظ: كتاب التاج، مصدر سابق، ص: ١٧٢ - ١٧٣ .
وذكر ان الملك يحتمل كل منقوص ومأنوف (مكروه) ولا يحتمل أن يطعن في ملكه أو يذاع سره أو يخونه أحد في حرمه.
(٣) قطب السرور، مصدر سابق، ص: ٢٩٦، ٢٩٧ .
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) الحاني (ناصر): في الحضارة العربية، مرجع سابق، ص: ١٤، ١٥ .
النويري: نهاية الأرب، ج/٦، ص: ١٤٦ . وقد ركز على ضرورة معرفة النديم لأصوات الغناء وغرائب الطبخ.

علمك ومذهبك ودينك، كتوماً للسر.

هذا وقد اسهبت كتب الأدب في سرد صفات النديم، وسبب اختياره من قبل الخلفاء والأمراء بما يتلاءم مع الصفات السابقة وينسجم معها تماماً. وقد حاول بعض الشعراء أن يصوغ الصفات المطلوبة في النديم شعرا، وبخاصة إذا كان نديم شراب، قال العطوي:

اخطب لكأسك ندماناً تُسر به ... أولا، فنادم عليها حكمة الكتب
اخطبه حراً كريماً ذا محافظةٍ ... يرى ندامكها من أشرف النسب
فإن يكن حلب الأيام أشطرها ... وقوّمته وراضته يد الأدب
فقد ملأت به كفيك من رجلٍ ... يرعى ذمامك رعي الواصل الحدب[1].

وقد جاء في سيرة ابراهيم بن المهدي[2] انه كانت له يد طولى في الغناء والطرب بالملاهي، وكان حسن المنادمة، أسود اللون، وافر الفضل، غزير الأدب، واسع النفس سخي الكف، ولم يُر في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً. وقد بويع بالخلافة في بغداد بعد مقتل الأمين، وغياب المأمون في خراسان، عام ٢٠١/٨١٦م وبقي حوالي العامين، ثم عفا عنه المأمون بعد عودته من خراسان لصفاته السابقة ولقرابته ونادمه وقرّبه. وروي كذلك عن الفتح بن خاقان انه كان يتمتع بذكاء وسرعة بديهه بدرجة عالية، وكان يحسن التصرف في المواقف الحرجة، مما جعل المتوكل العباسي يختاره للمنادمة[3].

ومهما قيل، فليس شرطاًأن يجتمع كل ما ذكرناه من شروط في الشخص حتى يختار للمنادمة، بل كان موقف واحد كافياً ليختار الشخص نديماً، ومثل هذا كثير في كتب الأدب فقد غضب المعتصم على عمر بن فرج الرخجي، أحد رجاله وأراد قتله، الا أن عمر سلك معه مسلكاً دلّ على ذكائه وحسن تصرفه فعفا عنه المعتصم ونادمه بعد ذلك[4].

ومثل هذا ما حصل مع المأمون[5]، وفي المقابل امتنع المهدي عن منادمة والبه بن الحباب

(١) النديم (ابراهيم الرقيق): قطب السرور، مصدر سابق، ص: ٢٩٧ .
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، لبنان ٣٩/١ .
(٣) الكتبي (ابن شاكر): فوات الوفيّات، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان ١٧٧/٣ .
النديم (ابراهيم الرقيق): قطب السرور، مصدر سابق، ص: ٢٩٤ .
(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ط/٢١، ١٩٧٥م/ ١٩٥٥م، ٢٧٦/٢ .
(٥) التوحيدي: البصائر والذخائر، تحقيق ابراهيم الكيلاني، ٥١٨/٣ .

لسوء خلقه، مع أنه يتمتع بكثير من صفات النديم السابقة[1]. وكذلك قصة إختيار أبي العيناء لمنادمة المتوكل، وما منع المتوكل من اختياره الاّ لأنه أعمى، مع أن معظم صفات النديم متوافرة فيه[2].

ويجب أن نذكر أخيراً بأن عادة اتخاذ النديم قد انتشرت في المجتمع الاسلامي، وأصبح هذا أمراً عادياً بين الأفراد على اختلاف مراكزهم الاجتماعية. وكان العدد من الأشخاص يجلسون سوياً للمنادمة، ويتداولون الحديث بينهم، مما يتحرجون من التحدث فيه أمام الآخرين[3].

وقيل ان «ندام النظراء أنعم وأرق، وندام العظماء أجل وأرفع»[4]

وكان السلاطين والأمراء لا يضحون بندمائهم لأنهم كالأخوة، بل هم أقرب الى قلب المنادم منهم. وقصة عبدالله بن طاهر مع بعض ندمائه اذ خانه أحدهم في بعض غلمانه، فلم يغضب ولم يستنكر العمل، ولكنه غضب لما حصل نفس العمل من غلمانه ضد منادميه، فما كان منه الاّ ان غضب وأعلن استنكاره لهذا العمل المشين حفاظاً على سمعة نديمه[5]، الذي يحتاجه في مطارحته بعض الأفكار بلا حرج، لأنه مؤتمن على كل ما يبدر من الخليفة، فعليه ان لا يخون أمانته ويخبر بما رأى وشاهد، فإذا فعل مثل هذا لقي القبول لدى رئيسه وصاحبه. وقصة حياة عوف بن ملحم الخزاعي خير دليل على ما نقوله، فقد كتم سرّ رئيسه طاهر بن الحسين، فلقى الحظوة عنده، وفعل الشيء نفسه مع ولده عبدالله بعد موت طاهر، وبقى ملازماً له طيلة ثلاثين عاماً لا يفارقه[6].

وكان الملك أو السلطان أو الخليفة لا يحتمل من أحد أن يطعن بندمائه لأنهم نفسه ولسانه، وكان يوقع العقوبات بمن ينال منهم شيئاً كما فعل المتوكل مع علي بن الجهم الذي نفاه لأنه كثير الايقاع بندمائه[7].

---

(١)الكتبي (ابن شاكر) فوات الوفيات، مصدر سابق، ٢٤٧/٤
التوحيدي: المصدر السابق، ١٥٣/١
الاصفهاني: كتاب الاغاني، مصدر سابق، ١٠٠/١٨

(٢) المسعودي: مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.
ابن الجوزي: المنتظم، طبعة حيدر اباد الدكن، دائرة المعارف الاسلامية، حيدر اباد، الهند، ١٩٥٧م، ٣/ ١٥٧ – ١٥٨ .
الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥١م، ص: ٩١ – ٩٢ .
الزركلي: الاعلام، ط/٣، طبعة بيروت، لبنان ٢٢٦/٧ .

(٣) الأصفهاني: الأغاني، مصدر سابق، ١٠١/١٨ .

(٤) التوحيدي: البصائر والذخائر، ٦٣٨/٣، مصدر سابق.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) الكتبي (ابن شاكر): فوات الوفيات، مصدر سابق، ١٦٢/٣ .
الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، ٢٧٨/٥ .

(٧) الأصفهاني: الأغاني، مصدر سابق. ٢٠٥/١٠، ٢١٣ .

آداب مجلس المنادمة ورسومه:

إذا دعا الشخص ندماءه للجلوس معه فيقتضي ذلك أن يقدم لهم ما عنده من طعام على شرط ألا يكون في ذلك تكلف وحرج، وان لايكون تأخر الداعي مقصوداً. أي ان لا يدخر صاحب الدعوة عمن دعاهم مما عنده ولا يتكلف لهم مما ليس في وسعه. لأن العبرة ليست في كثرة الانفاق على الطعام، بل في الحصول عليه بلا مبالغة في التكاليف.

وتحفل كتب الأدب بحكايات كثيرة تتصل بالطعام وتقديمه، وتحمل في طياتها مدحاً لمن يقدم الطعام في حينه بلا تكلف، وذماً لمن يؤجل الطعام بحجة إتقانه أو الانفاق عليه بطريقة تطيل من أمد الطبخ[1].

ومن أفضل الآداب في الدعوات ان لا يتأخر المدعو عن ميعادها، لأن تلبية الدعوة يترتب عليها احلال المحبة والوئام في النفوس في كل الحالات. وقد قيل «المودة شجرة ثمرتها الزيارة»، و«المودة روح، والزيارة شخصها»[2].

والأصل في الجلوس للأكل، أكل ما تيسر بلا تكلف وعناء، وأن لا يدخر صاحب الدعوة شيئاً يمكن ان يقدمه لأصحابه الاّ وقدّمه بلا تكلف. وكان مجلس المنادمة مجلساً يجري فيه الشراب أحياناً، وللشراب آداب معروفة في كتب الأدب، وليس شرطاً ان يكون الشراب من المسكر، بل كثيراً ماكان من شراب الفواكه، ونبيذها، مما لا يذهب بالعقل. وليس شرطاً كذلك أن يكون الشراب والطعام في مجلس المنادمة، بل هي من مكملات الجلوس في بعض الأحيان. فكثيراً ماكان السماع الطيب في المجلس مفضلاً على الطعام والشراب. وقد جاء ان الداعي لو اقتصر بالسماع الطيب على داعيه بلا طعام أو شراب لوفاه حقه وزيادة[3].

---

(١) كشاجم: كتاب النديم، مصدر سابق، ص:٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥ .

(٢) كشاجم: المصدر السابق، ص:٤٧ .

(٣) كشاجم: المصدر السابق، ص:٥٤ .

وقد ذكر كشاجم في هذا الموقف شعراً يؤيد المعنى الذي قلناه ومنه:

لأبي جعفر سماع عجيب جمع اللهو فيه والأطرابا
فالندامى به غنيون عن أن يبتغى مطعماً لهم وشرابا

الوشاء: الموشى، دار صادر، دار بيروت، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، ص:٩١ - ١٩٢ .

آدم متز: الحضارة الاسلامية، مرجع سابق، ٢/٢٤٠ - ٢٤١ .

ويبدو ان آدم متز قد نقل هنا عن الوشاء. ومن يتمعن فيما نقله متز وذكره الوشاء يتبين أدق أنواع السلوك البشري السوي على الأكل، بل هو أصول الايتكيت الحديث للظرفاء والندامى بخاصة لأنهم يمثلون في حضرة الخليفة أو السلطان أو الأمراء مدة طويلة يومياً.

وكان مما يسمع في المجلس كلام كثير، منه ألوان من الغناء الذي يخص النفس دون الجسم. وقد استحسن الأقدمون سماع ما يخص النفس على ما يخص الجسم، لأن الأصل في جلسة المنادمة هو الترويح البريء عن النفس.

ومن محاسن الأخلاق والآداب ان يَكُفّ من يجلس في مجلس المنادمة لسماع ألحان تغنى، بصره عن الستارة التي يخرج الصوت الملحن من خلفها، مهما كانت منزلة صاحب المجلس، لأن في هذا اكراماً لمن دعاه إلى مجلسه. وهذا من شأنه ان يكسب المستمع الحشمة ويجعله لا يتصرف تحت تأثير اللحن فيخرج عن الأدب، ويذهب لكشف ما وراء الستارة، أو يتصرف بتصرف خارج عن رغبة صاحب المجلس مما يحسب عليه، وينتقص من قيمته. وربما يتصرف السامع بأن يرد من يسمع صوتها إذا أخطأت في اللحن والغناء، وهذا مما يستكره من السامع، بل يُعد خروجاً على الأدب والذوق الرفيع المتعارف عليه في المجلس[1].

ولا ريب في أن صاحب الصوت أو صاحبته إذا ما شعر أو شعرت بمثل هذا التصرف، فإنه أو إنها سرعان ما يحجب أو تحجب الصوت واللحن ويؤدي الغناء بلحن رديء نكاية بمن يعترض ويرد على الخطأ، لأن القصد من وراء المجلس الترويح عن النفس[2]، والتمتع بحلو الكلام[3].

وإذا كان للسماع آدابه في مجلس المنادمة فإن للاستماع آداباً معروفة في أدبنا، منها، إمهال المحدث حتى ينقضي حديثه، والاقبال عليه بالنظر والوجه والوعي، واشعاره بحلو حديثه، وبشدة الحاجة اليه وان الجواب عنده، وحسن الاصغاء لما يقوله، دونَ القيام بحركة تشعره بالانصراف عن سماعه بأي عمل أو فكر، وان لا يُسابق الى الجواب أو يشعر بمعرفة ما سيحدث به، وان يظهر له الاعجاب بكل ما يقوله بمجمل الحواس والتلميحات، وان يُفهم بأن ما يقوله لم يخطر على بال السامع، وأنه من أمتع الأحاديث وأكثرها فائدة للنفس.

وفي المقابل فيجدر بمن يحدِّث أن يحاول افهام المستمع بأيسر الوسائل، لأن أمتع الناس حديثاً أكثرهم إفهاماً. وان من أدب الحديث أيضاً أن لا يكون مقتضباً، وأن «لا يهجم عليه، وان يتوصل الى اجتراره بما يشاكله، ويسبب له ما يحسنُ أن يجري معه في غرضه، حتى يكون بعض المفاوضة متعلقاً على حسب قولهم في المثل: «الحديث ذو شجون»، يعنى بذلك تشعبه، وتفرعه

(١) كشاجم: كتاب النديم، ص: ٥٥ - ٥٦ .
(٢) كشاجم: المصدر السابق ص: ٥٦ - ٥٧ .
(٣) كشاجم: المصدر السابق ص: ٥٨ .
وذكر القول: «العيش كله في الجليس الممتع».

عن أصل واحد الى معانٍ كثيرة»[1].

وان من الأدب أيضاً ان لا يبتدىء المحدث حديثاً ويقطعه، ويعد بأنه سيعود الى اتمامه فيما بعد مبدياً تريثه. وإذاكان لا بد من التريث فليكن قبل التفوه أو البدء بالحديث، لأن من السخف قطع الحديث إذا ابتدئ به.

وإذاكان أدب الحديث بصفة عامة، واجباً يقتضي اتباعه في كل حديث، فيجدر بالنديم الذي يجالس الأكابر كالسلاطين والحكام والقادة، ان يراعي هذه القواعد الأخلاقية برمتها.

ويجب ان يفهم ان النديم لا يقبل عذره من منادمه، إذا أكثر من الصمت، لأن الأصل في منادمته اشراكه من قبل المنادم فيما يطرحه الأخير من أحاديث يريد فيها اسهام النديم، وسكوت النديم يدعوه الى الامتناع عن المشاركة. وهذا لا يرضي المنادم على الاطلاق. وقد يقبل السكوت والعذر من الكاتب كي يفسح المجال لنفسه بالتفكير ليتدبر الأمر وينظم أحواله، وأما النديم فلا يقبل عذره بالانقطاع عن الكلام والمشاركة في الحديث. ويعد تصرفه تقصيراً، بل عيّا وانقطاعاً عن المشاركة، ويعني انه قد أصبح عاجزاً عن امتاع من دعاه الى المنادمة، مما يترتب عليه الاستغناء عنه[2].

وعلى النديم أن يحدث، وان يختار قصار الأحاديث، لأن الطويلة تصلح لمجلس القصاص ولا تصلح لمجلس المنادمة. ويجب على النديم ان لا يجعل كل وقت المجلس حديثاً دون الانشاد، لأن أنجح الأحاديث في مجلس المنادمة، ما مُزج به الحديث بالانشاد واللحن، ويجدر بالمحدث أن لا يكثر من الابتسام والقهقهة أثناء الحديث، لأن هذا العمل يشتت السماع وينفي الفائدة المرجوه من الحديث، بل ويدعو الى الملل.

ولعل من الأمور المستهجنة التي لا تصلح معها المنادمة، أن يكون النديم مصاباً بسلس البول، أو مبتسماً وهو يحدث، وأن يكون مقلاً من الشراب إذاكان في مجلس النديم شراب.

ويستحسن من النديم إذا حدّث على الطعام، ان يكون الحديث منصباً على النواحي

---

(١) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص: ٥٩ .

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٠، وذكر شعرا في النديم وصمته، منه:

وصاحب أصبح من برده ... كالماء في كانون أو في شباط
ندمانه من ضيق أخلاقه ... كأنه في مثل سم الخياط
نادمته يوماً فألفيته ... متصل الصمت قليل التشاط
حتى لقد أوهمني أنه ... بعض التماثيل التي في البساط

الطبية، أو ذكر الأغنية وما يحمد منها وما يذم تحلية للمجلس. ولكن على النديم أن يكون لبقاً ألمعياً لماحاً، فإذا أحس من صاحبه بخلاً جعل حديثه يدور حول التخفيف من الطعام، ارضاء لصاحب الدعوة المنادَم. وإذا استشير النديم في نوع من الطعام أشار بألطفه وأقله تكاليف. ولكن إذاكان صاحب الدعوة كريماً أكولاً، فعلى النديم ان يجاريه. بما يحبه من الأكل ويبين له مقدار اللذة في هذا الأمر، ليكسب الرضا وينال الاعجاب والمحبة.

ويجب على النديم أن يغسل يديه قبل الأكل وبعده، وأن لا يقوم بهذاكله في حضرة الرئيس أو الملك إذاكان ينادمه، لأن في هذا العمل احترامه لرئيسه وصاحب دعوته. وأما إذاكان النديم ينادم من هم على شاكلته، فلا بأس أن يكون الغسل في حضرتهم لرفع التكلفة بينهم، ورفع الحرج. ولكن حتى في هذه الحالة لو غسلت الأيدي بمعزل عن الآخرين، مع ما يتبعها من المبالغة في التنظيف، ما بين الأصابع، وتخليل الأسنان والتفل وما أشبه هذا مما لا يستحسن فعله أمام الناس، لكان أفضل وأضمن لنيل الاحترام(١)، لأن الانسان يتأذى أن يرى هذا من نفسه فكيف به من الآخرين.

وعلى العموم، فينبغي على النديم أن يكون فطناً يسعى وراء كل ما يجلب السرور لمن ينادمه، ويبعد عنه أي أذى. ولا يُري من ينادمه الاّ الصفات الحسنة.

وإذاكان المجلس، مجلس شراب، فعلى النديم أن لا يبدأ بالقدح الصغير ثم يتبعه بالأكبر فالأكبر. ولأن يبدأ بالكبير أكرم له وأفضل، لأنه بعد أن يشرب القدح الكبير يصبح على استعداد لفقدان عقله، فلو اتبعه بالكبير أيضاً لذهب عقله، ولكن إذا اتبعه بالصغير ظل محافظاً على عقله، وفي هذا يبقى على اتزانه واحترامه.

ثم تناول الكبير فيه شيء من المتعة، فلو صاحب الشرب بالكبير غناء ممجوج، لأغنى ما حلّ بالأجسام من انتعاش، عن سوء الغناء، ولظل النديم والمنادَم بنشاط وافر(٢). وأما الاكثار من الشرب أو الاقلال منه فلا ذنب للنديم فيهما، بل على العكس ربما الاكثار يضر بالنديم لأنه سيجبر على الشرب ويُكره، فيلحقه الظلم. وأما إذا امتنع فإن امتناعه سيكون مدعاة لاستثقاله على نفس المنادم، وربما قاد هذا الى كره النديم وربما الاستغناء عنه ويجب ان يفهم ان النديم سيغفر له الناس إذا أصابه سكر من جراء اجباره، ولا يغفر له إذاكان غير مكره ومشجع على

(١) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص:٦٦ .
ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت، لبنان، ١٠٥/٦ .
آدم متز: الحضارة الاسلامية، مصدر سابق، ٢٣٨/٢، ٢٣٩ .
(٢) النديم (ابراهيم): قطب السرور، مصدر سابق، ص: ٣١٨ .

الشرب. والعتب يلحق الرئيس على كل حال، لأن النديم مأمور، وليس بآمر وآمره لا يراجع.

ولعل من أقبح ما يفعله الملك بنديمه، وهو سكران، ان يوقع به عقوبة يندم عليها عند صحوه، ويلحق به العار والشنار[1]. وأقبح منه ان يطلب النديم شيئاً من الرئيس وقت السكر، لأنه بعد أن يفيق يشعر بأنه مستغل من قبل نديمه، وفي هذا خديعة لا يحتملها، وربما آذى نديمه في المقابل. وحتى لو لم يكن في المجلس سكر فيحسن بالنديم الاّ يطلب شيئاً مباشرة، الاّ أن يتحين الفرص ويقدم لذلك بمقدمات لطيفة.

ونظراً لعلو مركز صاحب المجلس لكونه خليفة أو حاكماً أو ملكاً فإن كشاجم ذكر فيما ذكره من آداب الشرب، أن لا يشرب صاحب المجلس، لأن مركزه يتطلب منه أن يكون القدوة للجميع. بل هو المسؤول عما يحصل في مجلس المنادمة مسؤولية مباشرة. هذا بالاضافة الى تحريمه الشرب شرعاً، وحتى لوكان الشرب محللاً فإنه يحرم على الرئيس الملك أو الخليفة أو السلطان لعلو منزلته[2] ونفاذ كلمته.

وكانت صورة الدعوة لمجلس الشراب والمنادمة، تعد من روائع القطع الأدبية، فمن هذا القبيل ما نقله لنا آدم متز عن ما رواه الثعالبي، فذكر لنا رسالة بليغة على لسان الصاحب بن عباد، لأحد أصدقائه، فقال:

«نحن يا سيدي، في مجلس غني الاّ عنك، شاكر الاّ منك، قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت فيه خدود البنفسج وفاحت مجامر الأترج، وفتقت فارات النارنج ونطقت ألسنة العيدان، وقام خطباء الأوتار، واهتزت رياح الأقداح ونفقت سوق الانس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندماء، وامتدت سماء الند فبحياتي الا ما حضرت لنحصل بك في جنة الخلد وتتصل واسطة العقد....»[3].

هذا ومن الحقوق الواجبة للملك أو السلطان في مجلسه، الاّ يبرح مجلسه أحد من الندماء الاّ لحاجة ملحة وضرورة لا مفر منها[4]، وإذا خرج أحد الندماء لقضاء حاجة عليه أن يلاحظ الملك،

---

(١) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص: ٦٩ .

(٢) المصدر السابق، ص: ٦٩، ٧٠ . وذكر ان الرئيس لو حكم بشيء في حالة سكره لا يعود عنه في صحوه وربما يكون فيه ضرر كبير وظلم فاحش وهذا من أسباب انتشار الفساد وضياع الملك.

(٣) آدم متز: الحضارة الاسلامية، مرجع سابق، ٢/٢٣٦ .
الثعالبي: تحفة الوزراء، تحقيق حبيب الراوي وابتسام الصقار، مطبعة العاني، وزارة الأوقاف، بغداد، العراق، ١٩٧٧م، ص: ١٢٥ . والرسالة فيه من ابن العميد، وزير ركن الدين البويهي إلى أحد أصدقائه.

(٤) الشابشي: الديارات، مصدر سابق، ص: ١٦٧ .

فإن سكت قام بين يديه، ثم يلاحظه ثانية فإذا نظر اليه فمعناه انه موافق على خروجه، وبامكانه حينئذ ان يمضي لحاجته مطمئناً لحسن تصرفه. وعندما يرجع النديم ويريد الانضمام لمجلسه، عليه أن يمثل بين يدي الملك ويبقى واقفاً مهما طال به الوقوف، إلى أن يومىء له الملك بالقعود والانضمام للمجلس، والاّ فلا[1].

ومن حق الملك على ندمائه ان لا يكلمه أحد منهم مبتدئاً وسائلاً، بل الواجب أن يكون الملك هو البادىء بالكلام. وإذا جهل أحد الندماء هذا السلوك، فيجب ان ينبه عليه، وإذا عاد ثانية للكلام فعلى من يتوكل بأمر المجلس أن يؤدبه، وان لا يأذن له بالدخول حتى يكون الملك هوالمبتدىء ذكره. ثم بعد ذلك يوعز اليه ويهدده انه ان عاد إلى مثل ما فعل، أسقطت رتبته من مجلس المنادمة، ولم يعد باستطاعته ان يعود لمجلس منادمة الملك ثانية[2].

وإذا غلب الملك النعاس فعلى الحاضرين من الندماء أن ينسحبوا من حضرته بلطف، مهما كانت منزلتهم، بحيث يتوارون عن مجلسه. وعليهم أن لا يذهبوا بعيداً، بل يجلسون بحيث يكونون قريبين منه إذا انتبه. وليس لنديم ان يصرِّح ان الملك إذا أفاق فلن يذكرني، ولا بأس علي في ان أنصرف، أو قد يغط في نوم عميق أو يعرض له شغل بعد أن يفيق، فإن هذا من الخطأ الجسيم. بل ويؤثر على الملك ويغضبه، ويدفعه بالتالي الى الانتقام. فكثيراً ما قتل الملك أحد ندمائه لتغيبه عن مجلسه بهذا الشكل[3].

وعلى النديم الحاذق لأصول المنادمة، بل العاقل الحكيم ان لا يجعل للملك منفذاً من هذا الطريق، وحتى لو أن الملك لم ينتقم منه بالقتل، فإنه سيحقد عليه، ولا يسلم من تقريعه وتأنيبه[4]. وفي مثل هذا المعنى قال الجاحظ: «على النديم ان يكون عارفاً بمسافات الطريق وما يعترضها من الأنهار والجبال والوديان، وان يكون قليل التثاؤب والنعاس والعطاس والسعال، صحيح النية، طيب المفاكهة، مرح الروح، قصير المياومة والملايلة، عالماً بأيام الناس ونوادر الشعر والأمثلة، له باع في كل فن وأدب»[5].

وهناك أوصاف لأمكنة المنادمة والشراب التي بناها الخلفاء وغيرهم من الأكابر، حفظتها لنا كتب الأدب، وذكرت أنها بنيت وفق مواصفات معلومة. بحيث تلائم ظروف الشرب والمنادمة. ومن هذا القبيل وصف لمجلس شراب الأمين العباسي (١٩٣ - ١٩٨/ ٨٠٩ -

(١) الجاحظ: التاج، مصدر سابق، ص: ٦٤، ٦٥ .
(٢) المصدر السابق، ص: ١٠٢، ١٠٣ .
(٣) المصدر السابق، ص: ١٤٢ .
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) المصدر السابق، ص: ١٣٥ .

٨١٤م) جاء تحفة رائعة حتى قيل فيه: «لم تر العرب، والعجم مثله»[١].

وليس للشراب في مجلس المنادمة وقت معين، بل هو تابع لصفاء النفس، واعتدال المزاج سواء في الليل أو في النهار[٢]، وقد يعقد مجلس المنادمة والشراب في بيت احدى الجواري[٣].

واجب الرئيس نحو ندمائه:

للرئيس المنادَم اليد الطولى على ندمائه، إذاكان ملكاً أو صاحب منزلة رفيعة في المجتمع. أما إذاكان غير ذلك، فإن الانصاف في المنادمة واعطاءكل ذي حق حقه وابطال الترفع عن النديم، وممارسة الانبساط والتبذل أولى بالمنادمين من غير الملوك باتباعه. وكان ان وجد بعض الخلفاء من كان يتبسط مع ندمائه ولا يترفع عنهم. كماكان من عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، وغيره. وهناك جماعة من الرؤساء وأصحاب السلطان، من ظلموا ندماءهم وابتذلوهم وامتهنوهم في أشياء يترفع عنها مماليكهم، ولكن هذه الصورة سرعان ما تختفي إذا اختلى هؤلاء الزعماء بالندماء في مجلس المنادمة، فتحل المساواة في العشرة بينهم، وينال النديم احسان وبر رئيسه. وقد يصل بر الرئيس الى أولاد النديم وعياله[٤]. وهذا ضرب من المساواة ومأثرة لأولئك الحكام لا تنسى في موقف مثل هذا الموقف الانساني، الذي يتطلب المشاركة في المجلس والحديث فيه بلا حرج.

ومهما يكن من أمر، فإن واجب الخليفة أوالحاكم أو الرئيس، أوكل من يقيم مجلساً للمنادمة ان يحافظ على ندمائه لأن حياته لا تستقيم الاّ بهم، وعليه ان يجعل جلّ همه خدمتهم والحرص عليهم والحفاظ على أجسامهم وعقولهم[٥]. وكان الواجب يفرض على النديم ان لا يتناول أي شراب الاّ شراب رئيس مجلس المنادمة، الذي كان يتناول الشراب مع ندمائه. ولكن إذاكان النديم لا يوافقه شراب الرئيس، فله أن يتناول أي شراب يلائمه وان لا يكره على غيره[٦].

---

(١) فراج (عبد الستار أحمد): نديم الخلفاء، دار المعارف، سلسلة اقرأ (١٠٩)، ص:١٨ .

(٢) التيفاشي: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق احسان عباس، ط/١، بيروت، ١٤٠٠/١٩٨٠م، ص: ٥٤، ٥٧ .

الرازي: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص: ٣٥٤، ٤٦٨ (بشأن الشرب صباحاً ومساءً).

الزمخشري: أساس البلاغة، مصدر سابق، مادة جوشن.

(٣) التنوخي: الفرج بعد الشدة، مصدر سابق، :١/٣٨٠ .

الهجري: التعليقات والنوادر، تحقيق عبد الأمير الحمادى، ح/١، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٠م، ص:٧١ .

(٤) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص:٧٨ .

الجاحظ: كتاب التاج، مصدر سابق، ص: ٩٤، ٩٥، ٩٦ .

(٥) المصدر السابق، ص:٦٥، الثعالبي: خاص الخاص، مصدر سابق، ص:١٢٦، وقد أورد شعراً في المحافظة على النديم.

(٦) كشاجم: أدب النديم، مصدر سابق، ص:٧٩ .

أدب النديم وقت اللعب:

وكان يتخلل مجلس المنادمة لعب الشطرنج، فإذا دعي النديم الى اللعب فعليه ان يتحلى بجملة صفات، منها أن يكون جميل المنظر والرائحة، سليم الظاهر والباطن، وأن لا يكون فيه ولا في تصرفه ما يحمل رئيسه على التقزز منه، أو النفور من حيث رائحة الجسم وجمال المنظر ونظافة اللباس، والتطيب بما يلائم المكان وأهله[1].

ويقضي الموقف من الرئيس أو النديم أن يعامل كل منهما الآخر بذوق وأدب بما يستحقه، فلا يستصغر الرئيس النديم، وبخاصة إذا كان النديم من طبقة عالية أو كان ذا عقل راجح وصاحب ذوق وفطنة، لأن الأصل فيمن يلعب الشطرنج أن يكون مكافئاً لخصمه، وهذا ما تدل عليه ظروف اللعبة، ولأن الرئيس يعرف من نديمه، فعليه ان يحرص على ان لا يتعالى عليه فتفسد الجلسة، وتصبح المنادمة غير ذات بال، ويحل الحرج مكان الصراحة، وهذا يخالف القصد من المنادمة[2]. ومما يصاحب اللعب على الشطرنج النوادر المدهشة، وهي من الضرورات اللازمة كالارتجاز للمقاتل، حيث تُعَدُّ هذه من ضرورات الجلسة، وربما تساعد على تحقيق النصر أحياناً.

وإذا نظرنا الى هذه الضرورة لرأينا أنها ليست ضرورية الا في حالة ما يكون اللعب بيد النديم، فيشجعه هذا على تحقيق النصر، والا فهو مضيعة للوقت وخسارة ما بعدها خسارة[3]. وكذلك حينما يتهيأ الخصم لضربة ممتازة في اللعب، فذكر النوادر المدهشة تشغله عن اللعب وتقوده الى الخسارة. ويلاحظ ان النوادر المدهشة وممارستها وقت اللعب، انما يكون الهدف منها تحقيق النصر باشغال الخصم وصرفه عن تحقيق النصر لصالحه، وكأن القضية فعلاً قضية حرب بحاجة الى تكتيك مدروس.

وعلى النديم ان يترك اللعب الجاد، ويتراخى لرئيسه إذا كان اللعب في صالحه، لأن التراخي للرئيس فيه مصلحة للنديم، ومصلحة المنادمة. وإذا كانت الدائرة على النديم فليترك لصالح رئيسه ايضاً، لأن المكابرة في هذا الوضع لا تفيد الا البلادة في الطبع. ويشبه لعب الشطرنج لعب النرد (الزهر) من حيث الآداب والأخلاق، التي يجب على النديم مراعاتها والعمل بموجبها حتى تكون المنادمة قد أدت الغرض المقصود منها.

---

(١) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص: ٨٢ .
(٢) المصدر السابق، ص: ٨٢ - ٨٣ .
(٣) المصدر السابق، ص: ٨٤ .

لباس المنادمة:

جرت العادة أن يكون لرجال الدولة وندمائها لباس خاص، لائق في مجلس المنادمة يسمى ثياب المنادمة ذات ألوان فاتحة زاهية. وقد كانت هذه الثياب لامعة مشرقة للناظرين. وكان الندماء ومن اليهم يتضمخون بالخلوق ويتطيبون، وكانت لهم الألبسة الخاصة، ألبسة يتخففون بها في منازلهم، وألبسة لاسفارهم وغير ذلك[١].

وكان التطيب علامة دالة على النبل وكرم المحتد، وعظيم الشخصية. وكان يقال «ثلاثة يحكم لهم بالنبل حتى يدرى من هم، رجل رأيته راكباً، أو سمعته يعرب كلامه، أو شممت منه طيباً»[٢]. وكان من عادة الظرفاء وأهل الأدب أنهم لا يجيزون لبس الثياب الوسخة مع ثياب مغسولة، ولا المغسول مع الجديد، ولا الكتان مع المرويّ، وهم يرون أن أحسن الزي «ما تشاكل وانطبق وتقارب واتفق»[٣].

وكانت المبطنة[٤]، من خلع المنادمة في العصر العباسي الأول، وكان بعضهم يكثر من اقتناء المبطنات، فقد ذكر القاضي الرشيد في الذخائر والتحف ان المتوكل العباسي عندما غضب على علي بن عيسى وأمر بمصادرة ممتلكاته، كان في جملة ما صادر من الملابس مئة جبة، تحت كل منها قميص وفوقها مبطنة، ومعها كساء قومسي (بالنسبة الى قومس) وعمامة وشاشيه[٥].

ومن ضمن ملابس المنادمة، الغلالة[٦]، كذلك في العصر العباسي الأول، وكثيراً ما خلع الخلفاء على منادميهم أعداداً منها[٧]. وكانت الغلالة من لباس مجلس الأنس والطرب واللهو

---

(١) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، مرجع سابق، ٩٤/٢ ..
رشدي (صبيحة رشيد): الملابس العربية وتطورها في العهود الاسلامية، ط/١، ١٤٠٠/١٩٨٠م، ص:٣٤ .

(٢) الجاحظ: كتاب التاج، مصدر سابق، ص:٩٦ - ٩٨، ١٠٠ .

(٣) الوشاء: الموشى، مصدر سابق، ص:١٧٩ .

(٤) المبطنه: ضرب من الاردية، يلبس فوق الثياب له بطانه ثخينة، العبيدي: الملابس العربية، ص:٢٩٠ .

(٥) الصابي: رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣/١٩٦٤م، ص:٩٦ .
العبيدي: الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الأول، طبعة عام ١٩٨٠م، ص:٢٩١ .
الزبيري (القاضي الرشيد): الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، ط/٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، ص:١٨٧ .

(٦) الغلاله: ثوب رقيق يلبس عادة تحت الثياب للعامة من الناس ولغيرهم.
بدري محمد فهد: العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، مطبعة الارشاد، بغداد، العراق، ١٣٨٧/ ١٩٦٧م، ص:١٥٧ .

(٧) الصابي: رسوم دار الخلافة، مصدر سابق، ص:٩٦ .
العبيدي: الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الأول، مرجع سابق، ص:٢٠٠ .

والمنادمة[1]. وجاء في كتاب الديارات ان عبدالله بن طاهر دخل داره يوماً من الأيام فالتقاه الخدم، فأخذ هذا قباءه[2]، وأخذ آخر خفه، وبقي في غلالة وسراويل، ثم جلس بعد ذلك للشراب[3]. ومن جملة خلع المنادمة، العمامة الموشاة المذهبة، والوشي ثياب من حرير مرقوم بألوان شتى. وأما العباءة فكان من غير المستحسن ارتداؤها في مجلس المنادمة، وبخاصة إذاكان في المجلس أي نوع من الشراب. وكانت العمامة كذلك من مستكرهات اللبس في مجلس المنادمة. فهناك صورة للسروجي، وهو يضع على رأسه قلنسوة بعد أن خلع عمامته، وعلقها على الحائط الى جانبه، وجلس للشراب. ولعل أبا زيد السروجي هذا قدكره لبس العمامة أثناء شربه فخلعها لما لها من رمز ديني يدعو الى الخشوع والوقار والهيبة ومخافة الله[4].

ومن المستحسن القول، ان الطويلة[5]، كانت من الملابس التي تلائم مجلس الشرب واللهو والأنس والغناء، مماكان يجري أحياناً في مجلس المنادمة[6]. وكانت القلنسوة كما ذكرنا من مستحسنات اللبس في مجلس المنادمة والأنس، وهي لباس مستدير مبطن من الداخل، يصنع من القماش أو الجلد وتوضع على الرأس. والقلانس متنوعة بالنسبة للشكل والمادة الخام المصنوعة منها، وغير ذلك[7].

هذا وقد وصف الوشاء ملابس الرجال الظرفاء والنساء الظريفات، بالتفصيل في كتابه «الموشى» وسرد لنا ما يجب على هؤلاء لبسه في مجلس الظرف وخارجه، وفي الأسواق والمنازل[8]. وذكر الجاحظ ان ابراهيم بن المهدي قدم على ابن أبي دؤاد «وعليه مبطنة ملونة من أحس ثوب في الأرض وعلى رأسه رصافية بعمامة خز سوداء، لها طرفان، خلفه وأمامه، وعليه خف أصفر، وفي يده عكازة أبنوس ملوح بذهب. وفي اصبعه فص ياقوت تضيء يده منه. فنظر

---

(١) الوشاء: الموشى، مصدر سابق، ص: ١٧٩ .
العبيدي: المرجع السابق نفسه.
الجاحظ: البيان والتبيين، ج/٣، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ط/ ٤، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مكتبة الحضارة بالفجالة، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م، ٢٠٦/٣ .

(٢) القباء: لباس خارجي للرجال، وهو فارسي الأصل، وقيل أنه انواع منه: العربي والفارسي والعربي ثوب طويل ومقفل من الامام بازرار ومقور تام التقوير في موضع الرقبة ويلبس تحته جبة وقد يكون هو القفطان. الفارسي ثوب واسع يشبه الفستان، العبيدي: الملابس العربية، ص، ٢٨٠ .

(٣) الشابشتي: الديارات، مصدر سابق، ص: ١٣٨ - ١٣٩ .

(٤) العبيدي: الملابس العربية الاسلامية، مرجع سابق، ص: ١٣٢ .

(٥) الطويلة: نوع من القلانس طويلة تلبس على الرأس. العبيدي: الملابس العربية، ص: ١٠٨ .

(٦) العبيدي: الملابس العربية الاسلامية، مرجع سابق، ص: ١١٠ .

(٧) رشدي (صبيحة رشيد): الملابس العربية وتطورها، مرجع سابق، ص: ٤٠ .

(٨) الوشاء: الموشى، مصدر سابق، ص: ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠ .

الى هيئة ملأت قلبه، فقال يا ابراهيم، لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تصلح الاّ للخلفاء، فانصرف ابراهيم، فلم يأته حتى مات»[1].

هيئة النديم

على النديم ان يحضر مجلس المنادمة بزي الموكب، ولبسة الخدمة وبزيه الذي يعرف به في المجالس، من غير أن يغير شيئاً من ثيابه بالزيادة أو النقصان. ولكن إذا أراد الرئيس ان يكرم نديمه بخلعة ملونة زاهية من خصوصيات النديم، حسن به أن يلبسها في وقت المجلس حتى ينقضي ولا يستحسن الظهور بها في مجلس آخر. لأن هذا هو ما يختاره الرئيس في مجلسه في ساعة طربه وتبذله لا في كل أوقاته. ويستثنى من ذلك العمامة والخف لأن في هذا إجلالا للسلطان عن مشاركته فيما اتسع له من التبذل والتخير في الزي الذي لا مشقة فيه، ولا يريد أن يشاركه فيه أحد مهما كان، وهذا تشبه بملوك الأعاجم الذين رسموا زياً لكل طبقة اجتماعية[2]. وعلى النديم ان يسرع الخطو كالعادة، وليس اختيالاً وتبختراً، ولهذا كله يميز بين ندماء الملوك وندماء النظراء، فندماء النظراء أنعم وأترف، وندماء العظماء والملوك أجلُّ وأشرف مكاناً لمكانة من ينادمون.

وندماء الخلفاء والأكابر، كانوا إذا اجتمعوا في منزل أحدهم قام الواحد منهم يمشي مسرعاً في المكان، خوفاً من أن ينسى السرعة ويندم عليها، أمام الخليفة كعادته[3]، وهذا مما يستحسن من أمثاله. وعلى النديم أيضاً أن يوطد نفسه على أن لا يصبِّح ولا يُمسِّي ولا يشمت ولا يستخير المنادَم، لأن في هذا تكلفاً من الرئيس بالجواب. وليس من حق المنادَم إذا رأى النديم منه لين خلق، وعدم تكبر عليه أن يقوم المنادَم بعمل يشعر معه النديم انه ظلم، مما يجعله يجحد الرئيس المنادَم ذا السلطان حقه في الرئاسة والسلطة ويفسد عليه تدبيره[4].

مراتب الندماء

كان لندماء الملوك مراتب مختلفة، فكان لبعضهم محل للوقوف، ولبعضهم مكان للجلوس على الرسم المتبع منذ القدم. وظل هذا الوضع سارياً في الأسر العريقة فكان لسلطان غزنين[5]،

(١) التاج: ص:٩٨ - ١٠١ .
(٢) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص:٧٢ .
(٣) كشاجم: كتاب أدب النديم، مصدر سابق، ص:٧٢ .
(٤) المصدر السابق، ص:٧٣ .
(٥) غزنين: لغة في غزنه عاصمة اقليم زابلستان من طرف خراسان مع الهند، وهي اليوم من بلاد الافغان. الحموى ومعجم البلدان: ٤/٢٠٠ .

عشرون نديماً: عشرة جلوس، وعشرة وقوف. وقد حذا حذوه السامانيون، وغيرهم من ملوك دويلات الاسلام التابعة بشكل أو بآخر للخلافة في بغداد[1].

ولا شك في ان العرب المسلمين قد تأثروا بالفرس في هذا السبيل، يقول الجاحظ ويخبرنا بأن أول من رتب الندماء هو اردشير بن بابك، وجعل الندماء ثلاث طبقات، وجعل الناس على طبقات أربع، وحصر كل طبقة على قسمتها[2].

ومهما يكن من أمر، فينبغي ان يكون لنديم الملك أو السلطان، الكفاف والحرمة الكاملة بين حاشية القصر. وعلى النديم ان يكون مهذباً متزناً محبباً لقلب السلطان. ولا شك في أن منزلة النديم الجالس بين يدي الملك أو الخليفة أو السلطان أرفع من منزلة النديم الواقف وأدنى الى قلب السلطان[3].

وما دام الندماء كثيري المكث بين يدي السلطان، أصبحت لهم الارزاق، وما داموا ملازمين للسلطان كذلك، وهم رتب ودرجات وطبقات، تنوعت أرزاقهم، كل بحسب رتبته وطبقته ودرجته لدى السلطان[4].

منزلة النديم

نال الندماء منزلة رفيعة لدى منادميهم وأصبحوا صورة عنهم. وأصبح النديم يتمتع بثقة من ينادم، سواء كان نديماً لذوي المراكز العليا أو نديماً للنظراء. وقد تمتع ندماء الملوك والسلاطين بقدر كبير النفوذ بين رجال الدولة. فكانت منزلة الندماء أكثر التصاقاً بالسلاطين من وزرائهم وكتابهم وحجابهم وقادتهم وغيرهم من الموظفين. وللتدليل على هذا نورد ما جاء في أطواء كتب الأدب على لسان الكتاب والندماء بشكل ملخص فنقول:

فاخر كاتب نديماً: قائلاً له:

«أنا معونة وأنت مؤونة، وأنا للجد وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للّذة، وأنا للحرب

---

(١) نظام الملك الطوسي: سياست نامه، مصدر سابق، ص:١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) التاج، مصدر سابق، ص:٢٣ .

(٣) نظام الملك الطوسي: سياست نامه، مصدر سابق، ص:١٢٤ حاشية (١) نقلاً عن قابوسنامه ص:١٧٨، طبعة طهران.

(٤) الجاحظ: التاج، مصدر سابق، ص: ٣٨ ، الاصفهاني: الاغاني، ٦٣/٤، ٢٠٣/٥، ٢١٦ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٤٤٤/١ .

وأنت للسلم»[1].

وواضح من هذا القول أن الكاتب قد قصد إظهار نفسه وأهميته التي تطغى على أهمية النديم في نظره، فهو معونة للحاكم والسلطان في عظائم الأمور، بل هو للأمور الجادة لا للهزل، وهو للشدة وأيام الحرب والكوارث بعكس النديم. ان هذا لم يجعل النديم يثور، بل جمع قواه وهيأ نفسه للرد، فقال: «أنا للنعمة وأنت للنقمة، وأنا للحظوة وأنت للمهنة، وتقوم وأجلس، وتحتشم وأنا مؤنس، تدأب لحاجتي وتشقى بما فيه سعادتي، وأنا شريك وأنت معين، وأنا قرين وأنت تابع، وأنا سميت نديماً للندم على مفارقتي»[2].

ومن يتدبر في رد النديم يظهر له علو منزلة النديم وسمو مكانته لدى السلاطين، فشتان بين الشريك والمعين، والقرين والتابع. وبعد فأي مركز أرفع من هذا الذي تمتع به النديم لدى السلاطين والحكام والخلفاء!؟

تعقيب

ان نضج الحضارة وسموها في المجتمعات العربية أيام العباسيين، وبخاصة في دار الخلافة، جعل الناس يتمتعون بعيش رغيد هنيء، فأسباب الرزق متوافرة وبحبوبة العيش قائمة، ومرد ذلك الى توفير الأمن وكثرة الخير، وتفرغ القوم للتمتع وافتنوا في ترف العيش والتنعم بأسباب الدنيا وحب كل ما هو ظريف[3].

ان هذا الوضع قد عمل على توفير جماعات كبيرة من الظرفاء والندماء للخلفاء والأمراء والقادة، تشاركهم عناء العيش وتروح عن أنفسهم، وأصبحت جماعات الظرفاء والندماء نسيجاً وحده بل وتطلب لذاتها، وأصبح لهم مواصفات خاصة بهم في الحياة[4].

ومن يستعرض حياة خلفاء بني العباس الأول، يجد أنهم كانوا يختصون بجماعة معروفة للجلوس معهم في مجالس المسامرة والمنادمة، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان عبدالله السفاح الخليفة العباسي الأول، يجلس مع مجموعة من السمار والندماء أمثال أبي بكر الهزلي، وخالد بن صفوان، وعبدالله بن شبرمة، وجيلة بن عبدالرحمن الكندي، وغيرهم ممن كانوا على مستوى

(١) الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر اللباب، شرح وضبط زكي مبارك، ط/٢، حـ/٤، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر، ١٥٧/٤ .
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) فاطمة حمزة: الظرف والظرفاء، المورد، عدد/٤، مجلد/٨، ص: ٣٢٢ .
(٤) المرجع السابق، ص: ٣٣٥ .

متقدم من الاخلاق والدين والاستقامة[1]. وعلى نفس النهج سار المنصور ومن تبعه من خلفاء بني العباس الأول[2].

ومن خلال ما ذكرناه عن النديم والمنادمة يظهر لناأن النديم، ليس بالضرورة هو نديم الشراب واللهو فقط، بل هو غير هذا في معظم الأحوال، وان كانت معاجم اللغة تعرفه بهذا المعنى. وليس من المعقول ان يركن خليفة أو سلطان أو ملك الى شخص يأتمنه على أسراره، ويطارحه أفكاره بلا تحرج الا ويكون ذا ثقة به، وأن يكون النديم على درجة من حسن السيرة والسلوك، لأن الملك يحتمل كل منقوص ومأنوف (مكروه). ولا يحتمل أن يطعن في ملكه، أو يذاع سره، أو يخونه أحد في حرمه، ومن الممكن أن يصفح عن غيرها من الأمور[3]. وإذا عدنا الى علاقة عبدالملك بن مروان الأموي بنديمه الشعبي، العقل المدبر المفكر، ظهر لنا ان النديم هو ذلك الرجل الألمعي الذكي الحافظ لأسرار منادمه، القادر على اتخاذ القرار في الموقف المناسب، وظهر لناكذلك ان المنادمة ليست هي الجلوس على الشراب فقط، بل هي شيء أسمى من هذا وما شابهه.

ولعل أرق ألوان أدب النديم ما رسمه عبدالملك للشعبي، عندما تاقت نفسه الى منادمة أحد من أخيار الناس ومحادثة الرجال الأشراف. قال:

«يا شعبي لا تساعدني على ما قبح، ولا ترد على الخطأ في مجلس، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية. ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما استطعمك، واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني، واعلم صواب الاستماع أكثر من صواب القول. وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنك منه شيء، وأرني فهمك في طرفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في تطرية جوابي ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسوأ

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، حـ/٢، دار بيروت، لبنان، ١٤٠٠/١٩٨٠م، ٢/٣٦١.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٤/١٩٧٤م، ص: ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٦. وذكر أخبار مسامرات ومنادمة المهدي والهادي والرشيد.
الاربلي: خلاصة الذهب المسبوك، تصحيح مكي السيد جاسم، ط/٢، مكتبة المثنى، بغداد، ص: ١٠٨، ١١١. وذكر أخبار منادمة الرشيد وأن منادمه هو عم أبيه العباس بن محمد وهو من ذوي الأخلاق.
ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق ودراسة كامل السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية، لايدن، هولنده، ١٩٧٣م، ص: ٨١، ٩٢، ٩٣. وتكلم عن ندماء الرشيد والأمين.
الذهبي: العبر في خبر من غبر، حـ/١، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط/٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م. وروى أخبار منادمة الرشيد.
كوركيس عواد: ذيل الديارات الشابشتي، ص: ٣٦٤ - ٣٧١. وذكر أخبار المتوكل مع ندمائه وما بناه من أجل اللهو

(٣) الجاحظ: كتاب التاج، مصدر سابق، ص: ١٧٢ - ١٧٣.

الناس حالاً من استكدَّ الملوك بالباطل، وان أسوأ حالاً منهم من استخف بحقهم. واعلم يا شعبي ان أقل من هذا يذهب بسالف الاحسان ويسقط حق الحرمة، فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه وعند اصابته فرصة»[1].

ويلاحظ من هذه التوصيات انه لابد أن يكون النديم ذا قدرة على تمييز الأمور في مجلس منادمه، قادراً على أن يعي آداب المجلس. ومن ينعم النظر في هذه الكلمات يجزم بأن النديم ليس هو ذلك الرجل الخليع اللاهي، الذي يجالس الخلفاء والملوك والسلاطين وغيرهم على موائد الشرب، ويستمع معهم مادحاً لهم في مجالس الطرب والغناء، وان النديم شخصية جادة قادرة على استيعاب أصوليات الاجتماع السلطاني، ومستعدة لمعاملة السلطان بما يجب.

وكان الشعبي نعم النديم لعبدالملك، اعتمد عليه في عظائم الأمور، وقام له بالسفارات الى ملوك الروم، وأثبت جدارة فيما أوكل اليه تفوق التوقع، ولم يشتهر بالشرب.

وقد ذكرت لنا كتب التاريخ أخباراً تدل على خطورة مركز النديم، وتدخل الندماء في أمور السياسة، فمن هذا القبيل ما قام به الفتح بن خاقان نديم المتوكل العباسي، من أعمال أفضت الى نقل ولاية العهد من محمد المنتصر الى المعتز ولدي المتوكل، مما ترتب عليه ان شارك المنتصر الأتراك في قتل والده[2].

وكان الخلفاء والسلاطين إذا ما عرفوا فحش القول والمجون وسوء الأخلاق والأدب من النديم، تركوا منادمته، ولوكان أكثر الناس جمالاً، وأدقهم معرفة بأصول المجالس ومعرفة الغناء ونحوه. فهذا المهدي يمتنع عن منادمة والبة بن الحباب الأسدي، مع أنه عربي شريف، وشاعر ظريف، وذلك لأن والبة اشتهر بسوء الخلق وفاحش القول. وما ذلك الا لأن النديم أخ لمن ينادم وبه يقرن المنادَم[3].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق، ٣/١٠٠ .
النديم (ابراهيم): قطب السرور، ص: ٢٧٩ - ٢٩٠ .
وقد أورد وصية غيرها، الا انها تحمل نفس المعاني وان اختلفت ألفاظها.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، حـ/٥، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ٥/٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) الطبري: المصدر السابق، حـ/٤، ص: ٥٩١ . وذكر بيتين من الشعر فيهما شيء كثير من أخلاق واليه، هما:
قلت لساقينا على خلوة ... ادن كذا رأسك من رأسي
ونم على وجهك لي ساعة ... إني امرؤ.. جلاسي
الدميري: حياة الحيوان الكبرى، كتاب التحرير، حـ/١، شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، مصر، ١٩٦٥/ ١٩٦٦م، ١/١٤٤ .
الكتبي(ابن شاكر): فوات الوفيات، مصدر سابق، ٣/١٧٧ - ١٧٨ .

وان في رد أبي العيناء الأعمى على من طلبه لمنادمة الخليفة عندما قال: إن أعفاني من رؤية الأهلة، فإني أصلح للمنادمة؛ ما يفيد ان مهمة النديم لم تكن فقط الشراب، بل هو أسمى من هذا ومركزه أجل وأفضل ومهماته متعددة، والا لما طلب الأعمى ان يكون نديماً إذا أعفي من ضرورة وجود نظره، والاّ فالأعمى لا يصلح للشرب معه[1].

وقد بلغ بعض الندماء درجة الوزارة، بما كان يحسنه من التبسط الى الخليفة في الحديث في ساعات صفوه وكدره، وفي ليله ونهاره، حتى لو لم يصل الى درجة الوزارة فإن الهبات تسيل عليه من شتى الاتجاهات. ان هذا الوضع جعل كثيراً من العلماء والأدباء والفقهاء واللغويين، بل كل من يريد الحظوة عند الخليفة أو غيره، يطمحون الى الوصول لدرجة النديم، ونذكر في هذا السبيل كلا من الأصمعي، وأبي يوسف، منادمي الرشيد، وثمامة بن أشرس نديم المأمون[2].

ولا شك في ان النديم هو أكثر من موظف رسمي، أو صديق للخليفة أو السلطان، يقضي معه وقتاً من ليل أو نهار، فقد قيل قديماً «لسان الملك كاتبه ووجهه حاجبه وجليسه (نديمه) كله». لأن النديم يجلس مع الخليفة في أوقات كثيرة، ويطارحه الحديث بقلب مفتوح، ويطلع على خبايا نفسه وأسراره[3].

وهناك مسألة ممارسة الشراب في مجالس الخلفاء مع الندماء، فنحن وان كنا لا نستغرب حصول الشرب في مجلس بعض خلفاء المسلمين، مع ماله من مساوىء تتنافى مع العقيدة، الا أنه يجب علينا ان نتحرز في اطلاق هذا الحكم بالتعميم على مجالس خلفاء المسلمين جميعهم. وقد أوردت كتب الأدب كثيراً من أخبار الملوك والخلفاء مع ندمائهم في مجلس المنادمة، وذكرت كثيراً من أخبار الشرب فيها[4].

ويجب أن نذكر هنا أن بعض الأحناف قد أحلّ الشراب غير المسكر، كنبيذ التمر، والعسل، والتين، والبر، والزبيب المطبوخ، فشرب الناس هذه الأنبذة وشربها عدد من الخلفاء، بدليل أننا نقرأ في كتب الأدب ان الخليفة أو أحد ندمائه شرب عشرة أرطال أو أكثر، أو ظل يشرب ساعات طوالا. فلو كان هذا الشراب مسكراً، لما اتفق هذا مع ما هو موجود في كتب الأدب نفسها عن استقامة الخلفاء وغيرهم من رجال الدولة.

---

(١) الزركلي: الاعلام، ط/٣، لبنان، ٢٢٦/٧ .
(٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط/٣، مصر، ص:٥٣ .
(٣) ابن ابي حجلة: ديوان الصبابة، مصدر سابق، ص:٥٠ .
(٤) المصدر السابق نفسه.

وعلينا ان نقول ان البعض جاوز الشراب غير المسكر في مجلس المنادمة وتناول المسكر منه، قال ابن الرومي بهذا المعنى:

أباح العراقي النبيذ وشربه ... وقال حرامان: المدامة والسكر
وقال الحجازي: الشرابان واحد ... فحلّ لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها لا فارقَ الوازرَ الوزر[1].

وحياة النديم الاجتماعية، هي صورة حقيقية عن حياة سيده خليفة كان أو غير ذلك، فهي على العموم حياة المترفين في المجتمع، وترسم لنا صورة اجتماعية كاملة لحياة القصر، إذا كان المنادم من علية القوم حاكماً أو صاحب نفوذ. وأصبح النديم الخاص بالخلفاء والملوك والسلاطين والقادة، يتمتع بمركز مرموق في القصر، ويسهم في رسم الحياة العامة الى حد كبير.

ان مجمل هذه الظروف وما شابهها قد أوجدت أدبا لهؤلاء الندماء، ارتسمت من خلاله العلاقة بين النديم وأصحابه، وسيده وما في القصر من جوارٍ وَقيان ومغنين وظرفاء. وأصبح هناك مراسم تتبع ورسوم مفروضة في مجلس الملك أو السلطان، يجب أن يسير عليها الجميع من سكان القصر المجتمعين فيه، والزوار إذا كان المنادم خليفة أو ملكاً أو سلطاناً أو نحو ذلك.

ولعل أشهر من دوَّن في أدب النديم، وتناقلته عنه كتب الأدب، كشاجم الشاعر الرملي الفلسطيني، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأفريقي الذي ألف أشعار الندماء. والف الوشاء في أدب الظرفاء، الشريحة الاجتماعية الأخرى، التي كانت تتشارك مع النداء من حيث توافر الظرف واللياقة وحسن الألفاظ. ومن يتصفح كتاب الفهرست لابن النديم، يشاهد أن هناك أعداداً كثيرة اهتمت بأدب النديم، ومارست هذه العادة الاجتماعية[2].

ولا نغالي إذا قلنا ان النديم قد وصل الى درجة المستشار المؤتمن في قصور الخلفاء والملوك والسلاطين، الأمر الذي يبرهن على علوكعبه وتدخله في أمور السياسة والدولة بشكل عام. وخير دليل ما قام به الفتح بن خاقان من التدخل في تحويل ولاية العهد من المنتصر الى المعتز ولدي المتوكل كما أسلفنا، مما كانت نتيجته قتل الاثنين معاً[3].

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط/٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص: ٩١ .
(٢) ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان، ص: ٢٠٠ - ٢٢٢ .
(٣) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، مصدر سابق، ١٤٤/١ .

ومهما قيل، فقد وصل النديم الى الأوج أيام العباسيين في عصرهم الأول، وشارك في توجيه أمور السياسة كالفتح بن خاقان مع المتوكل. وقد وصل مركز النديم وضعاً زاحم فيه عظماء الموظفين كالكتاب والحجاب. وكان النديم أخاً وصديقاً ومستشاراً لمن ينادمه، وتدخل بعضهم في ادارة دفة الحكم.

هذا وقد عامل السلطان ندماءه بكل محبة، واخلاص، ورقة، وغفر لهم زلّاتهم التي لا تمس شخصه وشخص الحكم مباشرة. وأصبح الندماء شريحة اجتماعية تمارس لوناً مترفاً من ألوان الحياة اللاهية العابثة، تشارك بعض الخلفاء والسلاطين لهوهم. فالناس على دين ملوكهم، فإن مارس السلطان الشراب قلّده ندماؤه في نفس العمل وعم البلاء الناس.

ويجب ان نقول بأن عادة اتخاذ النديم، قد أصبحت دارجة في المجتمع العباسي في العصر الأول، بل عُرْفاً صانه من يعرفه.

الخاتمة:

اعتاد الباحثون الصاق عادة الشرب بمجلس المنادمة، وان النديم ما هو الّا نديم الشراب فقط، وقد يكون معهم الحق لأن معاجم العربية دأبت على نهج مثل هذا النهج بين ثنايا موادها. ولكن بعد البحث والتنقيب ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، ان النديم ليس هو نديم الشراب فقط، بل هو ذلك الشخص الذي يثق به شخص آخر ويرتاح إليه ويطارحه أفكاره دون حرج، ويظهر له نفسه على سجيتها دون تكلف، فيرى النديم من نديمه، ما لا يراه غيره من الناس، فيطلع على أدق خلجات النفس لمنادمه، ويقف على أسراره بل على ما يجول بخاطره.

إن هذا الأمر يعني، أن يتحلى النديم بجملة صفات وأخلاق، الهدف منها كسب ود من ينادم. ولا نغالي إذا قلنا ان النديم مؤتمن على أسرار من ينادمه، وعليه ان يحرص عليها ولا يذيعها في الناس، لئلا يلحق الضرر بمن ينادمه. وبصورة أخرى فالنديم صورة لمن ينادم عليه ان يحرص على اظهار هذه الصورة بجلاء للغير، ولا يظهرها بمظهر يلحق الضرر بصاحبها.

وقد حرص سادة الندماء من الخلفاء وغيرهم ان ينادموا العلماء والأطباء وذوي الفضل، ولم يكن مجلس منادمتهم يتخلله الشراب بصورة عامة، بل كان في معظم الأحوال يخلو من اللهو ومن المسكر، مما رفع درجة النديم الى درجة المستشار. وعليه أن يكون ناصحاً للخليفة، عاملاً بصورة أو بأخرى على نهج أيسر السبل وأقصرها الى الخير.

ومن خلال ما قدمنا ثبت لدينا ان علاقة النديم بمنادمه كانت وثيقة جداً، حتى ان النديم كان يلازم منادمه في معظم الأوقات. وقد ثبت بالبحث ان النديم صورة واضحة عن منادمه، فالمرء سر أخيه وما النديم الا أخ لمن ينادم[1].

وخير دليل على تبادل الثقة وتكريس معنى الأخوة بين النديم ومنادمه، ما ثبت بالبحث من ان الفتح بن خاقان وزير المتوكل ونديمه، وصورته ضحى بحياته مع المتوكل عندما قتله الأتراك، فذهبا معاً كدليل صدق على تضحية النديم من أجل نديمه[2]، كما مر.

وثبت بالبحث أن على النديم أن يكون لبقاً ذكياً لمّاحاً ألمعيا، يحسن التصرف ويكون قادراً على التصرف بشكل حسن فيما يقوم به من أعمال. ومن هذا القبيل تصرف الشعبي، نديم عبدالملك بن مروان الأموي، لما ذهب سفيراً الى البلاط البيزنطي، فمن خلال ما دار بين الطرفين أظهر الشعبي حسن التصرف واللباقة، لدرجة أنه نال اعجاب الامبراطور البيزنطي، الذي حسد عبدالملك عليه، وأراد الامبراطور البيزنطي أن يوقع بين الشعبي ومنادمه عبدالملك. ولولا حسن تصرف عبدالملك ولباقة الشعبي وحضور بديهته، لانطلت على عبدالملك المكيدة، وربما شك في مسلك الشعبي تجاهه، ولكنها الثقة بينهما.

وجاء هذا البحث ليكشف عن مدى العلاقة بين النديم ومنادمه، بل ليكرس معنى الأخوة بينهما، بل أصبحا وجهين لعملة واحدة لا غنى لأحدهما عن الآخر. وانسجاماً مع هذا كان المنادم ملكاً أو خليفة، وزيراً أو عادياً، يصفح عن زلات نديمه تقديراً لدوره ولما بينهما من علاقات الود والاخاء.

وكان المنادم يحرص جداً على سمعة نديمه، والذي هو لسانه وصورته، ويحرص على أن يبعد عنه كل شر، كما حصل بين المتوكل العباسي وعلي بن الجهم لما نفاه، لأنه كان كثير الايقاع بندماء المتوكل بين الناس. وما حصل مع عبدالله بن طاهر لما غضب على غلمانه الذين أوقعوا بندمائه.

ومن يتبيّن مثل هذه التصرفات، يدرك ان المنادم محق في المحافظة على نديمه لأنه بعمله هذا يحمي نفسه، ويحفظ أسراره الخاصة التي أصبح النديم على دراية تامه بها. واهماله يعني ان المنادم أهمل أسرار نفسه، وما أظنه يفعل، بل وما من عاقل يفعل هذا.

وثبت بالبحث كذلك ان اتخاذ النديم قد أصبح ضرورة ملحة، وبخاصة لدى الخلفاء والحكام الذين هم في أمسّ الحاجة الى الراحة من عناء العمل الجاد، وهم بحاجة الى رجل كفيّ

(١) ابن الجوزي: المنتظم، طبعة حيدراباد، دائرة المعارف العثمانية، الدكن الهند، ١٣٥٧ هـ، ١٢١/٥ .
(٢) الكتبي (ابن شاكر): فوات الوفيات، مصدر سابق، ١٧٧/٣ - ١٧٨ .

يطارحونه أفكارهم بلا حرج، ويطلعونه على ما لا يطلع عليه غيره من خبايا النفس.

وثبت بالبحث أيضاً، ان بعض مجالس المنادمة كان يتخللها نوع من التبذل واللهو والخروج عن الحشمة، وربما تناول الحاضرون الشراب المسكر. وان ثبت هذا بالبحث فيجب أن لا نسرع بنسبة مثل هذا التصرف بلا تحرج، الى الخلفاء قادة المجتمع الاسلامي على الاطلاق.

ولعل ما نقرأ عنه في اطواء كتب الأدب قديماً وحديثاً، عن ممارسة الشرب في مجالس المنادمة أيام العباسيين، يعود الى تساهل فقهاء العراق بشأن شرب أنواع من النبيذ، ولا عجب إذا انساق الناس وراء مثل هذه الفتاوى فشربوا النبيذ غير المحرم، ثم انساقوا وراء النبيذ المحرم سهواً أو عمداً.

ثبت المصادر والمراجع

الاربلي (عبدالرحمن سنبط قنيتو)، ت: ٧١٧هـ/١٣١٧م

«**خلاصة الذهب المسبوك**» تصحيح مكي السيد جاسم، ط/٢، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

الاصفهاني (أبو الفرج)، ت: ٣٥٦/٩٦٧م

«**كتاب الأغاني**» طبعة مؤسسة جمال، بيروت، لبنان.

التنوخي (أبو علي المحسن بن علي القاضي)، ت: ٣٧٤/٩٩٤م.

«**الفرج بعد الشدة**» حـ/١، ط/٢، بيروت، لبنان، ١٣٧٥/١٩٥٥م .

التوحيدي (أبو حيان التوحيدي)، ت: ٣٨٠/٩٩٠م

«**البصائر والذخائر**» تحقيق ابراهيم الكيلاني، حـ/٣، حـ/٤ .

التيفاشي (أحمد بن يوسف)، ت: ٦٥١/١٢٥٣م.

«**سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**» تحقيق احسان عباس، ط/١، بيروت، لبنان، ١٤٠٠/١٩٨٠م.

الثعالبي (أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل)، ت: ٤٢٩ أو ٤٣٠/١٠٣٨ أو ١٠٣٩م.

«**خاص الخاص**» تقديم حسين الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م .

«**تحفة الوزراء**» تحقيق حبيب الراوي، وابتسام الصفار، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، العراق، ١٩٧٧م .

الجاحظ (أبو عثمان بن بحر البصري) ث: ٢٥٥/٨٦٩م

«**كتاب التاج في أخلاق الملوك**» دار الفكر، دار البحار، بيروت، لبنان، ١٣٧٥/١٩٥٥م.

«**كتاب البخلاء**» تحقيق فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م .

«**مختارات من كتاب الحيوان**» اختيار نعيم الحمصي، السفر الثاني، رقم ١٢، منشورات وزارة الثقافة والارشاد، دمشق، سوريا، ١٩٧٩م .

«**البيان والتبيين**» حـ/٣، تحقيق عبدالسلام هارون، ط/٤، مكتبة الخانجي، مكتبة الحضارة، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م.

ابن الجوزي (أبو الفرج، عبدالرحمن)، ت: ٥٩٧/١٢٠٠م.
«**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**» المطبعة العثمانية، حيدراباد، الدكن، الهند، ١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ.
الحاني (ناصر)، الدكتور،
«**في الحضارة العربية**» المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
ابن أبي حجلة (شهاب الدين أحمد المغربي) ت: ٧٧٦/١٣٧٤م.
«**ديوان الصبابة**» دار حمد ومحيو، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م. والكتاب مع كتاب تزيين الأسواق في أخبار العشاق لداود الانطاكي.
حمزة (فاطمة حمزة) الدكتورة،
«**الظرف والظرفاء**» مجلة المورد العراقية، عدد/٤، مجلد/٨ .
ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد)، ت: ٦٨١/١٢٨٢م.
«**وفيات الأعيان**» تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨ - ١٩٧٢م (طبعة في ٨ مجلدات).
الدميري (كمال الدين محمد بن موسى)، ت: ٨٠٨/١٤٠٥م.
«**حياة الحيوان الكبرى**» جزءان، كتاب التحرير، شركة الاعلانات الشرقية، دار التحرير للنشر والطباعة، القاهرة، مصر، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م.
الذهبي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد عثمان)، ت: ٧٤٨/١٣٤٧م.
«**العبر في خبر من غبر**» حـ/١، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط/٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م (والكتاب طبع في الكويت في خمسة مجلدات).
الرازي (محمد بن أبي بكر، عبدالقادر الرازي)، ت: بعد ٦٩١/١٢٩٢م.
«**مختار الصحاح**» ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
رشدي (صبيحه رشيد رشدي)، الدكتورة.
«**الملابس العربية وتطورها في العهود الاسلامية**» ط/١، ١٤٠٠/ ١٩٨٠م.
الزبيدي (أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الحسيني)، ت: ١٢٥٠/١٧٩١م.
«**تاج العروس**» ط/١، منشورات دار الحياة، المطبعة الخيرية، بيروت، لبنان، (الطبعة في عشرة أجزاء).
الزبيري (القاضي الرشيد)، ت: القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.
«**كتاب الذخائر والتحف**» تحقيق محمد حميد الله، ط/٢، مطبعة، حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.

الزركلي (خيرالدين) الاستاذ
«الاعلام» ط/٣، بيروت، لبنان.
الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، ت:٥٣٨/١١٤٣م.
«**أساس البلاغة**» دار صادر، دار بيروت، بيروت، لبنان، ١٣٨٥/١٩٦٥م.
السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)، ت:٩١١/١٥٠٥م.
«**تاريخ الخلفاء**» دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٤/١٩٧٤م.
الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد)، ت:٣٨٨/٩٩٨م.
«**الديارات**» تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، العراق، ١٩٥١م.
الصابي (هلال بن المحسن)، ت:٤٤٨/١٠٥٦م.
«**رسوم دار الخلافة**» تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ١٣٨٣/١٩٦٤م.
ضيف (شوقي ضيف)، الدكتور،
«**تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول**» ط/٣، دار المعارف، القاهرة، مصر.
«**تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني**» ط/٣، دار المعارف، القاهرة، مصر.
الطبري (محمد بن جرير)، ت:٣١٠/٩٢٢م.
«**الرسل والملوك**» دار الكتب العلمية، ط/٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٨/١٩٨٨م.
الطوسي (نظام الملك الطوسي)، ت:٥٨٥/١١٨٩م
«**سياست نامه**» ترجمة يوسف بكار، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٤٠٧/١٩٨٧م.
ابن عبدربه (شهاب الدين أحمد)، ت:٣٤٩/٩٥٩م.
«**العقد الفريد**» حـ/٦، تصحيح وترتيب أحمد أمين، عبدالسلام هارون، القاهرة، مصر، ١٣٦٨/١٩٤٩م.
العبيدي (صلاح العبيدي)، الدكتور،
«**الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي**»، سلسلة دراسات رقم (٢٠٣) وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٠م.
ابن العمراني (محمد علي بن محمد)، ت:٥٨١/١١٨٥م.
«**الانباء في تاريخ الخلفاء**» تحقيق ودراسة وتقديم كامل السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، لايدن، هولنده، ١٩٧٣م.
فراج (عبد الستار أحمد)، الدكتور

«**نديم الخلفاء**» سلسلة اقرأ رقم ١٠٩، دار المعارف، القاهرة، مصر،
الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، ت: ٨١٦/ ١٤١٥م.
«القاموس المحيط» مؤسسة الرسالة، ط/٢، بيروت، لبنان.
القيرواني (أبو اسحق ابراهيم بن علي، الحصري، ت: ٤٥٣/١٠٦١م.
«زهر الآداب وثمر الألباب» شرح وضبط زكي مبارك، ط/٢، حـ/٤، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر.
الكتبي (محمد بن شاكر الكتبي)، ت: ٧٦٤/١٣٦٢م.
«**فوات الوفيات**» تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان (طبعة في خمسة مجلدات).
كشاجم (محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك)، ت: ٣٦٠/٩٧٠م
«**أدب النديم**» تحقيق نبيل العطية، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، ١٩٩٠م .
متز (آدم متز)، المستشرق،
«**الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري**»
تعريب محمد عبدالهادي أبو ريده، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٣٨٧/١٩٦٧م.
المرزباني (محمد بن عمران بن موسى بن سعد عبدالله الخراساني»، ت: ٣٨٤/٩٩٤م
«**الموشح**» تحقيق محمد البجاوي، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ١٩٦٥م.
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، ت: ٣٤٦/٩٥٧م
«**مروج الذهب ومعادن الجوهر**» تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.
ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، ت، ٧١١/ ١٣١١م
«**لسان العرب**» طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة، مطابع كوستاتسوماتش، القاهرة، مصر.
النديم (ابراهيم الرقيق)،
«**قطب السرور في أوصاف الخمور**» تحقيق أحمد الجندي، مصر، ١٩٦٩م.
ابن النديم (محمد بن اسحق)، ت: ٣٨٣/٩٩٣م.
«**الفهرست**» دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨/١٩٧٨م.
النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب)، ت: ٧٣٣/١٣٣٢م.
«**نهاية الأرب في فنون الأدب**» نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة

والارشاد القومي، مطابع كوستاتسوماتش وشركاه، القاهرة، ١٩٥٤م. (١٨ جزء) والآن حوالي ٢٧ طبعت.

الهجري (هارون بن زكريا)،

«**التعليقات والنوادر**» تحقيق عبدالأمير الحمادى، حـ/١، سلسلة كتب التراث، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، بغداد، العراق، ١٩٨٠م.

الوشاء (أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى)، ت: ٣٢٥/٩٣٧م.

«**الموشي**» دار صادر، دار بيروت، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

ياقوت (ياقوت الحموي)، ت: ٦٢٦/١٢٢٩م.

«**معجم الأدباء**» حـ/٦، دار المستشرق، بيروت، لبنان.

«**معجم البلدان**» طبعة دار صادر، بيروت، لبنان.

اليعقوبي (أحمد بن واضح)، ت: ٢٨٢/٨٩٥م.

«**تاريخ اليعقوبي**» مجلدان، دار بيروت، لبنان، ١٤٠٠/١٩٨٠م.